إحيـــاء الفـــؤاد

ببيان حجة الله على العباد

د. حسام عبد الرحمن شحاته

الطبعة الثانية : ١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥ م

مزيدة ومنقحة

العنــوان: إحياء الفؤاد ببيان حجة الله على العباد.

المؤلــف: أ.د. حسام عبد الرحمن شحاته

الطبعــة الأولى: ١٤٣٢ هـ- ٢٠١١م

دار طيبة للتصميم والطباعة: ✆ ٠١٠٠١٢٣٢٧٣٧

يطلب من (التوزيع):

٠١٠١٢٧٧٩١٧ / ٠١٠١٧٧١٤١٧ / ٠١٠١٥٠١٠٤٢

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:

١٣٧٨٤/ ٢٠١١م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾

[النُّور : ٣٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا. مَنْ يَهْدِهِ الله، فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللهمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا الله الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، ﷺ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وكلُ مُحدَثَةٍ بِدعَة وكلُ بِدعَة ضَلَالة.

المقدمة

الحمد لله الذي أعذر إلى عباده، وأنزل إليهم حججه وبيِّناته، وتودد إليهم بنعمه وكلماته، ودعاهم إلى الإقامة في جناته، ثم منَّ برحمته على من شاء منهم بتيسير طريق الهداية وبصَّرهم بعلاماته، وصرف بعدله الهداية عن غيرهم جزاءً لهم لمخالفتهم لرسله وتكذيبهم بآلائه.

والصلاة والسلام على أفضل رسول، كان على أمته حريصًا، وبلغهم حجة ربهم قبل أن يلاقوه قريبًا، وشرح الحجج وبينها لمن كان للجنة مريدًا، وأنذر وأوعد من كان لآيات ربه عنيدًا.

فقد وصف الله تعالى رسله فقال:

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ الله عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على أن الله ﷻ لم يترك للناس شيئًا يعتذرون به حين ينفذ فيهم حكمه، فأرسل إليهم الرسل لتقوم عليهم حجة الله، ولتبطل حجة العباد عند الحساب، وكل ما سيأتي ذكره من إقامة حجة الله على العباد مقتبس من هذه الآية الكريمة والجامعة لمعانٍ كثيرة. وذلك أن الرسل هم الذين جاءوا بالآيات والمعجزات والعلم والأدلة والبراهين والبصائر، وغير ذلك لتكون حججًا على العباد، حتى إن الحجج الموجودة قبل إرسال الرسل مثل: الآيات الكونية، وتسوية خلق الإنسان لم يكن لنا سبيل للتفكر فيها بطريقة صحيحة إلا بعد تبيين الرسل لهذا الطريق الصحيح من التفكر والتأمل والذي يكون به التعبد لله والتقرب إليه تعالى.

وعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وآله وسلم: «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ»(١).

وقوله عليه الصلاة والسلام: «وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ» يستدل منه التحذير من بطش الله وعقابه، إذ أن الإعذار كما هو معلوم لكل أحد لا يكون بعده إلا الحساب، وهو سبحانه وتعالى قد أعذر إلى العباد بالحجج الكثيرة مع الرسل كما سيأتي بيانه.

وكذلك يستدل منه أن حكم الله وقضاءه في الدنيا والآخرة نافذ ولا رجعة فيه، فلا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، فمن أعرض عن ذلك كله فقد عرض نفسه لعقاب الله ولا يلومنَّ إلا نفسه؛ لأن الله قد أعذر إليه.

ومعلوم أن إقامة الحجة بإنزال الكتب وإرسال الرسل، له أثره في النفس، إلا أن المزيد من البيان والتفصيل لحجة الله على عباده له أثر مختلف، فهو يهز النفس ويوقظها من غفلتها، لتقف مشدوهة أمام الحجج الدامغة المتتابعة، فلا تجد مفرًا من درء الغفلة والمبادرة إلى العمل الصالح، حيث يترسخ العلم بأن الأمر جدٌّ خطير، وأن كل ما أنزله الله من حجج وأدلة وبصائر وآيات وبراهين لم تكن للعب واللهو، تعالى الله وتنزَّه عن ذلك. كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٦-١٨]

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٣٤) ومسلم (٣٥-٢٧٦٠) واللفظ له، وقد تفرد بجملة العذر التي في آخره.

وقد اشتملت الآيات القرآنية الكريمة وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة وإيضاحات العلماء على الكثير من هذه الحجج، إلا أنها وردت متفرقة، ومن هنا بدت أهمية جمع ما تفرق، ليكون في سياق متصل، حتى إذا اكتملت الحلقات، كان ذلك مُـخَلِّصًا لِلْهِمَمِ والعزائم مما اعترضها من المعوقات، وإحياءً لما مر على القلب دون تدبر، فكان مصيره أن مضى وفات، ورجاءً أن يكون تدارس ذلك نافعًا للعباد في الحياة وبعد الممات.

وسعيًا وراء تحقيق الهدف من بيان ما خفي على النفس من عظيم حجة الله ﷻ على عباده، استعنت بالله وقمت بحصر حجج الله قدر استطاعتي، لتكون كل حجة تحت عنوان خاص بها، ويكون الإيضاح تحت العنوان مشتملا على أسرار ولطائف، تغفل عنها النفس في غالب الأحوال، ويسعى الشيطان لزيادة الغفلة، لتفتر همة الإنسان، وينشغل عن المقصود الأسمى الذي خلق له، وهو عبادة الله تعالى .

مما يزيد هذا المعنى إيضاحًا، ويزيل الغفلة عن أن الله ﷻ لم يجعل هذه الحجج لهوًا وعبثًا، هوأن العباد سوف يواجهون يوم القيامة قريبًا، بنفس الحجج التي كانت عندهم في الدنيا فيذكرهم الله ﷻ بقوله:

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ [يس: ٦٠]

﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ [المؤمنون: ١٠٥] ،

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾ [الزمر: ٧١]

﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ﴾ [فاطر: ٣٧]

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ [الملك: ٨]

﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ [النساء: ٩٧]

فهل تفكرنا في ذلك؟

وإليكم سرد للحجج مفصلة بأسلوب يدعو للتأمل والتدبر ليفتش كل منا عما أنساه الشيطان حتى يستدرك ما فاته من المعاني.

إن تدبر هذه الحجج والعمل بمقتضاها فيه سبيل النجاة وطريق السعادة، وتقع اللائمة على من ضاع منه العمر وهو لايدرى.

إن الفرح والحبور في طاعة الله ؛ فما حجة من ضيعوا أفراح القلوب؟

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حسام عبد الرحمن شحاتة

القاهرة

الطبعة الثانية في ١٦ شوال ١٤٤٦ هـ

الموافق ١٥ إبريل ٢٠٢٥م

1

الحجة الأولى
فطـرة الإنسان على عبودية الله

خلق الله ﷻ الإنسان وفطره لتكون معرفتة لخالقه وحاجته إليه أمرًا بديهيًا، فإذا أنكر الإنسان هذا الأمر البديهى بإيعاز من الشيطان أو من نفسه الظالمة، فإنه سيعود مرة أخرى لا محالة للأمر البديهى حال الكرب والشدة.

وهذه أعظم حجة؛ لأن الأصل أن تبقى هذه الفطرة نقية كما خلقها الله تعالى دون تبديل، وتقوم الحجة على من سعى لتبديل فطرة الله النقية وعكرها بالجحود أو الشرك.

إقرأ قول الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا **فِطْرَتَ الله** الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا **لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله** ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٣٠]

ففى الآية إشارة إلى خلق الإنسان قابلا للإيمان والتوحيد، وكذلك قوله تعالى ﴿**لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله**﴾ ، أى فكما أنك لا تستطيع تبديل مواضع الشمس والقمر، فكذلك حقيقة معرفة الإنسان بربه وعبوديته له لا يمكن تبديلها؛ لأنه مهما تعكرت تلك الحقيقة وتشوشت فإنها ستعود لنقائها الأول يومًا ما، ليعترف الإنسان بوحدانية الله وعبوديته له إما طوعًا وإما كرهًا. فإذا علمنا أنه ﴿**لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله**﴾ فإن سبيل

السعادة والفلاح أن لا تبدلوا تلك الخلقة ولا تغيروها؛ بل نموها وأبرزوها بالتربية حتى ينشأ الطفل على الإيمان.[1]

انظر إلى قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن **الله**﴾ [لقمان:٢٥]

تأمل كيف اتضحت الحجة في هذه الآية؛ لأنه لايوجد من ادعى خلق السموات والأرض وأقام الدليل على ذلك إلا الله .

كما أنه لايوجد دليل على أن الله أشرك معه أحدا في هذا الخلق البديع.

فمن شذ عن هذه البداهة والفطرة، فقد افترى إثما مبينا وظلم ظلما عظيما.

ولا شك أن الإقرار بالربوبية أمر فطري، والشرك حادث طارئ، والأبناء تقلدوه عن الآباء[2].

ثم تفكر في انتفاء العذر للعباد يوم القيامة في هذا الأمر، وبطلان الادعاء بأن النفس لم تكن مهيأة لعبادة الخالق المنعم عليهم، عبادة خالصة له وحده بلا ند ولا شريك، وتدبر أن العكس هو الصحيح، فالأصل هو فطرة الله النقية، والمشركون هم الذين يبدلون ما فطرهم الله عليه كما بين ذلك رسول الله ﷺ بقوله: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[3].

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير ٤/ ١٧٧

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (٢١٢).

(٣) أخرجه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (١٣٨٥) واللفظ له، ومسلم (٢٢- ٢٦٥٨).

ماذا بعد هذه الحجة؟

إذا كانت معرفة الرب ﷻ أمرًا فطريًا لكل العباد، فهل يليق بالعباد أن ينسوا ذلك ويغفلوا عن خالقهم وفاطرهم، ويسعوا ويلهثوا في عمرهم القصير وراء من لا يخلق ولا يملك؟!

وهل يليق بعاقل بعد هذا العلم ألا يسعى في فترة إمهاله وبقائه في الدنيا ليزداد من معرفته بخالقه والتعرف على أسمائه وصفاته؟!

إن الإنسان في الكرب والشدة ينسى كل شيء ولا يلجأ إلا إلى ربه، وذلك لمعرفته الفطرية بأنه هو وحده القادر على نجاته، فإذا نجاه الله ﷻ عاد ليذكر المخلوقات وينسى الخالق نسيانا تاما أو جزئيا، فيترك عبادة ربه بالكلية أو يقصر فيها، فماذا يفعل إذا كان هذا الكرب هو الموت، حيث لا رجعة مرة أخرى إلى المخلوقات التى انشغل بها؟!

ألا يخاف من نسي الخالق وانشغل بالمخلوقات (حتى ظن أنها تنفع أو تضر) أن يقف في صفوف الظالمين يوم القيامة ليحاسبهم الله على أهم فريضة، وهي توحيد الله ؟

أليس حَرِيًا بنا أن نتأمل هذه المواجهة في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * **وَأَنِ اعْبُدُونِي** هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ * هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ *﴾ [يس:٦٠– ٦٤]

إن النفس الخبيثة الجاحدة المصرة على اتخاذ الهوى بديلا عن الحق لا يصلح لها إلا نار جهنم مستقرا؛ لأنها لو خرجت من النار لعادت إلى غيها وكفرها، فيكون عدل الله باستدامة مكثها في النار.

ومما يجب التنبيه عليه كذلك أن الله قد فطر كل المخلوقات كذلك على معرفته كما قال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤]

فإذا كانت كل الموجودات التي خلقها الله تعبد خالقها وتوحده، فإن الذي أشرك بالله وبدل فطرة الله هوالذي شذَّ عن كل هذه المخلوقات، ولن يكون له قرار إلا في النار، حيث يقر هناك بوحدانية الله وحيث لا ينفعه الإقرار في تلك الحال.

لقد خلق الله ﷻ كل الموجودات، إلا أن خلق الإنسان كان له شرف مميز فقد نسبه الله إلى نفسه حيث خلقه بيديه ﷻ ووهب له الحياة بأن نفخ فيه من روحه، فإذا أعرض الإنسان عن خالقه الذي منحه هذا الخلق المميز فأشرك مع الله من لا يخلق، فقد ارتكب جريمة، يستحق عليها العقاب.

ولو أقر الإنسان بربوبية الله وألوهيته، وَشَرَعَ يعبد الله على علم، فينبغي له أن يظل ذلك دأبه أبدًا، حتى يرقيه الله لمنزلة الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى ﴾ [العلق: ١٤]

وتبقى هذه الحجة هي الأهم، وما سيأتي من الحجج فهو تابع لها، فعلى الإنسان إن أراد الفلاح أن يجعل إفراد الله بالعبادة دأبه دائما، فيشرع مخلصا في عمل الصالحات بلا وهن، ويقلع عن السيئات ابتغاء مرضاة مولاه بلا تردد، ويخلص أعماله كلها لله، ويجعل هذا سبيله حتى يلاقي ربه.

أحكم السفينة فإن البحر عميق	واستكثر الزاد فإن السفر طويل
وخفف ظهرك فإن العقبة كئود	وأخلص العمل فإن الناقد بصير

❊ ❊ ❊

الحجة الثانية 2

تسوية خلق الإنسان

بعد أن فطر الله ﷻ أنفس العباد على معرفة خالقها، أودع هذه الأنفس أَجْسادًا لَهَا سَمْعٌ وَبَصَرٌ وَعَقْلٌ وَحِسٌّ وغير ذلك من خلق بديع، فزادت بذلك الحجة على العباد، إذ أن هذا الخلق السوي للإنسان هو من إحكام ملكه ﷻ وتدبير أمر عباده والإعذار إليهم، وكذلك من كمال حكمه حين يحكم عليهم يوم القيامة.

استمع لقول الله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ [التين: ٨]

وإذا تأملنا الآيات السابقة لهذه الآية في سورة التين لوجدناها مسبوقة في نفس السورة بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]

وإذا تأملنا هاتين الآيتين، لتفكرنا كيف أن خلق الإنسان على أكمل صورة حجة من الله على خلقه، فهو سبحانه أعدل وأحكم الحاكمين إذ منحهم هذا الخلق السوي فضلا منه ورحمة، ويكون قد أعذر إلى الناس بهذا الخلق السوي قبل أن يحاكمهم.

فلا عذر للإنسان في أن يسمع الآيات تتلى عليه ثم لا يتدبرها، فيكون بذلك قد أساء استعمال ما وهبه الله من سمع.

ولا عذر للإنسان في أن يبصر ما في السماوات والأرض ثم لا يتأمل خلقهما، فيكون بذلك قد أساء نعمة البصر، وهكذا في سائر الأعضاء والجوارح.

ثم تفكر بعد ذلك كيف أتم الله حكمه بالعدل فخفف التكليف على من لم يستوِ مع غيره في الخلق فقال تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الفتح: ١٧].

ماذا بعد هذه الحجة؟

هل تأملنا ما وهبنا الله من خلق بديع؟

وهل علمنا ما تحويه أجسامنا من مئات الآلاف من الخلايا، بل ومثلها أضعافًا مضاعفة؟

إن هذه الأعداد الهائلة من الخلايا ترتوي في أجسامنا بشبكة ري عظيمة ومحكمة من شرايين وأوردة وشعيرات دموية. وهل علمنا أن مجموع أطوال هذه الشبكة في جسم الإنسان الواحد يصلح؛ لأن يلف الكرة الأرضية ويزيد؟

وفي كل خلية (والتي لا ترى بالعين المجردة) خلق آخر حيث يعجز العلماء عن وصف ما في الخلية الواحدة من أسرار، حيث لا يزال المزيد من الأسرار يظهر تباعا مع كل بحث وتنقيب.

ويكفي بأن نعلم أن كل خلية تحوي بداخلها شريط الحمض النووي ملفوفا على بعضه بطريقة بديعة، بحيث لو فك هذا الشريط لأمكن لجميع أطوال الأشرطة النووية في جميع خلايا جسم الإنسان الواحد أن تصل المسافة ما بين الأرض والشمس، بل إنها لتجاوز الشمس لتصل إلى أكثر من ألف ضعف تلك المسافة بُعدًا في عمق السماء[1].

---

(١) راجع مقال د. إيهاب عبد الرحيم (مجلة العربى– يناير ٢٠٠١– العدد ٥٠٦).

** د. إيهاب عبد الرحيم: طبيب مصرى برع في الترجمة وحصل على لقب أفضل لغوى في العالم٢٠٠٤.

انظر كيف جمع الله لك من مواد بناء جسمك ما يطول أطراف الأرض وأعماق السماء!!! ثم تأمل كيف انضمت هذه المواد لبعضها البعض، ليصبح بناء جسدك قويا محكما، ثم انظر كيف يهب الله لهذا البناء الحياة، فيحيا ذلك الجسد بإذنه، فتدور عجلة الحياة في جميع أجزاء الجسم في تناغم رائع، لينعم الانسان بالصحة، وتستمر الحياة؛ لأن الله يرعى كل هذه الأجزاء بقدرته ورحمته، ليكون هذا الجسد جاهزا للتحرك باختيار الإنسان طوال فترة بقائه في الدنيا، إلى أن يأتي يوم البعث، فيحاسبه الله على تصرفه في هذا الخلق البديع.

فهل يليق بنا أن نمشي في الأرض مختالين مرحين بخلق ليس لنا أي فضل في صناعته البديعة؟!

وإذا كنا نعترف بفضل الله المحض في هذا الخلق البديع، فهل يليق بنا أن نستخدم أبعاضه[1] من **سمع أو أبصار أو أفئدة** في غير ما يحب خالق هذه الأعضاء؟ إن كل حركات أجسامنا مسجلة علينا لتشهد لنا أو علينا يوم القيامة: ﴿ حَتَّى إذا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت:٢١]

انظر كيف انفصلت هذه الأعضاء عن أصحابها وشهدت ضدهم، لتنطق بإذنه تعالى عليهم؛ لأن هذه الأعضاء خلق منفصل عن أصحابها.

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا الله الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت:٢١]

إن هذا الخلق البديع الذى نشاهده في بناء جسم الإنسان خلق مؤقت، ليناسب حال الدنيا التي ستزول بإذن الله، ولذلك فإن هذا البناء ينهدم شيئا فشيئا،

---

(١) أبعاضه= أجزاءه.

وكلما انهدم منه جزء أعاد الله بناء هذا الجزء مرة أخرى، وذلك طيلة بقاء الإنسان في الدنيا، إلى أن يأتي أجله، فتذهب الروح إلى بارئها ويبلى الجسد كله.

تدبر ما سبق ذكره مما خلق الله لك ابتداء، ثم تدبر كيف يرعاه لك فيجدده دائما، فكلما انهدم جزء من هذا الخلق بطوله الذى يصل لأطراف الأرض وأعماق السماء، جدده الله لك، ورعاه لك، ليلتئم الخرق فيعود هذا الخلق على الرغم من طوله صحيحا كما كان، ليقوم بوظيفته على أكمل وجه، وأنت لا تشعر ولا تلحظ عظيم رحمة الله .

إن رعاية الله لك في هذا الخلق لا تتوقف قدر لمح البصر ولا أقل من ذلك، بل هي قائمة آناء الليل وأطراف النهار، ولوتوقفت رعاية الله لخلايا جسدك لتوقف هذا الخلق عن الحياة.

إن الله يرعى جسدك وهو سبحانه وتعالى ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾، أما الإنسان فلا بد له من النوم، والله يرعى للإنسان جسده حال نومه.

إن الله يرعى جسدك وهو سبحانه وتعالى لا يغفل، وأما الإنسان فتصيبه الغفلة، والله يرعى للإنسان جسده حال غفلته.

إن الله لم يطلب منك أمرًا عسيرًا، وإنما طلب منك أن ترعى أعضاءك كما يرعى الراعي غنمه خشية أن تشرد.

أما تخشى من هذه الحجة التي ستواجهك يوم القيامة؟

أما يستدعي ذلك منك أن ترعى هذه الجوارح والأعضاء ساعات الليل والنهار؛ لأنها ستكون حتما ولابد عن قريب معك أو ضدك. أما تدبرت قوله تعالى:

﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ** كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]

* * *

3

الحجة الثالثة
تيسير المعيشة

بعد أن فطر الله ﷻ أنفس العباد على توحيده وجمع بينها وبين الخلق السوي، يسر الله للإنسان معيشته وسخر له كثيرا من المخلوقات لخدمته، فيسر الله الأسباب التي تكفل معيشته وهو في بطن أمه، فإذا خرج للحياة وجد أبوين حنونين عليه، أودع الله في قلبيهما محبته ورعايته.

حتى إذا اشتد عوده ومشى على الأرض، وجد أن الله ﷻ قد سواها له، وجعلها تدور ليقلب الله له الليل والنهار، فيسعى نهاره، ويستريح ويسكن في الليل. ولأن دوران الأرض قد يزعج الإنسان، فقد أرسى الله له الجبال فيها، ورعاها بقدرته حتى لا تهتز الأرض فتفسد عليه معيشته الهانئة، ثم أمر الشمس بأن تمده بما يحتاج إليه من مقومات الحياة، وأمرها بأن تحنو عليه؛ لأنها لو اقتربت منه لأحرقته، ولو ابتعدت عنه لتجمد الإنسان وكل ما على الأرض.

ثم جعل الله ﷻ دوران الأرض والشمس والقمر تبعا لنظام دقيق ليحسب الإنسان أوقاته حتى لا يمر منه العمر دون استفادة، **فَلَوْلَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَمْ يَدْرِ أَحَدٌ كَيْفَ يَحْسُبُ**.[1]

فينظر الإنسان إلى القمر في السماء فيعلم في أي أيام الشهر يكون، وينظر للشمس فيعلم في أي وقت من يومه يكون من شروق أو ظهيرة أوغروب، حتى إذا

(١) «فتح القدير» للشوكاني في نفسير قوله تعالى: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ (٥/ ١٥٨).

أكملت الأرض دورانها حول الشمس وانقضت فصول السنة يكون قد أتم سنة من عمره، وهكذا يسر الله ﷻ معيشته وحساباته.

ومن تيسير الله ﷻ للإنسان معيشته أيضًا أن جعل دوران الأرض حول نفسها ينظم له الليل والنهار بقدر ما يجعل معيشته ميسرة. فلو كانت سرعة دوران الأرض حول نفسها أبطأ مما قدره الله لها لطال النهار، واختل ميزان الإنسان؛ لأنه يحتاج للراحة والنوم والسكون، ولطال الليل كذلك وتعب من طول البرد والظلام.

ثم أمر الله ﷻ أسباب السماء أن تحمل له الماء المالح فتصفيه له ماء عذبا رقراقا، فيسوقه السحاب المسخر ليسقطه من أجله، لتجري أمام الإنسان الأنهار وتحت أقدامه الآبار، فيشرب ويرتوي هو ومن معه من أغنام وأبقار وزروع وأشجار.

ثم يخرج الله له من باطن الأرض وظهرها ما لذ وطاب من الكنوز فتطيب بذلك نفسه وتتيسر معيشته.

تأمل بعض ماسخره الله لك:

- سخر الله ﷻ الأرض لحمل بني آدم وحمل ما يحتاجه من المعاش.
- وسخر الله الشمس لتمده بالطاقة وأسباب الحياة.
- وسخر الله القمر ليعكس لك ضوءا هادئا بالليل وليكون مع الشمس من أدوات معرفة عدد السنين والحساب.
- وسخر الله النجوم لمعرفة الاتجاهات حال السير في الصحراء والبحار.
- وسخر الله الليل والنهار للحساب ولتيسير المعيشة بين الحر والبرد والظلام والنور.
- وسخر الله الفلك لإمكان السير في البحار.
- وسخر الله الأنهار لتحمل الماء إلى الأرض الجرز لتدب فيها الحياة.

- وسخر الله البحار لتحمل في طياتها الكنوز، ولتدخر الماء المالح ليتم تصفيته ماء عذبا.
- وسخر الله السحاب لحمل الماء المصفى.
- وسخر الله الرياح لسوق السحاب إلى حيث شاء الله .
- وسخر الله الجبال لحفظ توازن الأرض ومخزنا للمعادن والأحجار.
- وسخر الله الطير في جو السماء ليعلم الإنسان من طيرانها مواضع الماء في الصحراء.
- وسخر الله الأنعام لحمل الأثقال وأكل لحومها.

وهذه بعض الأشياء المسخرة على سبيل المثال لا الحصر، وأما جملة ما سخره الله للعباد فلا يمكن حصره كما قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ الله سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]

وبذلك يكون الله ﷻ قد فطر نفس الإنسان على معرفته، وسوى خلقه بعلمه، ثم يسر معيشته حتى يتفرغ لعبادة الله، أما إذا تعسرت المعيشة على الإنسان فقد خفف الله عنه.

تأمل كيف خفف الله ﷻ على المسافر؛ لأن المسافر يترك معيشته التي يرتاح فيها ويتعرض لأجواء وأحداث تنغص عليه العيش الذي يسره الله له حال إقامته، **فخفف الله عنه صلاته**(١) **وأجل صيامه**(٢) **وأجاب دعاءه**(٣).

---

(١) فقال: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾ [النساء: ١٠١]

(٢) فقال: ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]

(٣) ففي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ» وفيه: «وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ». أخرجه الترمذي (١٩٠٥) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

انظر كذلك لرخصة تأخير صلاة الظهر في الصيف حتى تخف حدة الحر[1] والصلاة في الرحال عند المطر الشديد[2] وإباحة المحظور عند الضرورة[3].

أما إذا ضاقت به المعيشة بالأرض التي يسكنها فقد دله الله على أن يسعى إلى أرض غيرها كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ الله يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى الله وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى الله وَكَانَ الله غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠]

وبهذا التيسير للمعيشة والتخفيف حال تعسر المعيشة، تكتمل حجة الله على العباد وتبطل حجة العباد يوم الحساب.

ماذا بعد هذه الحجة؟

أما نخشى أن تقام علينا الحجة بما سخره الله لنا من الأشياء فيسألنا الله عن شكرها وكيف استعملنا هذه الأشياء المسخرة؟

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [القارعة: ٨]

إن الله لم يكلف الإنسان المستحيل في شكر هذه النعم، ولكن كلفه ما هو في مقدوره (وهو إفراد الله تعالى بالعبادة الخالصة الصحيحة) ومع ذلك فإن الإنسان يَضِنُّ بما هوعليه قادر.

---

(١) كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ، ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَبْرِدُوا بِالظُّهْرِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ». أخرجه البخاري (٥٣٨).

(٢) كما في حديث ابْنِ عُمَرَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَأْمُرُ الْمُؤَذِّنَ إذا كَانَتْ لَيْلَةٌ ذَاتُ بَرْدٍ وَمَطَرٍ، يَقُولُ: «أَلَا صَلُّوا فِي الرِّحَالِ». أخرجه البخاري (٦٦٦) ومسلم (٢٢- ٦٩٧).

(٣) وذلك في قوله تعالى: (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ) [البقرة: ١٧٣]

إن الله وعد الإنسان إذا أراد شكر هذه النعم أن يعينه على ذلك (ويزيده من فضله قال تعالى: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ فهل سلك الإنسان هذا المسلك؟

إن الله رحم الإنسان فسخر له الأشياء، وخفف عنه التكليف حال تعسر المعيشة.. فهل يرحم الإنسان نفسه فيطيع ربه الرحيم؟

ويخفف عن نفسه من حمل الأوزار حتى تتيسر معيشته في الآخرة؟

❋ ❋ ❋

4

الحجة الرابعة

الإمهـــال

بعد أن فطر الله ﷻ أنفس العباد على توحيده وجمع بينها وبين الخلق السوي، ثم يسر لهم معيشتهم، أمهل الله عباده مدة كافية ليشكروه على ما آتاهم، ويؤدوا حق الله بأن لا يعبدوا معه غيره، وقد كان الإمهال للعباد أيضا من أجل أن يطيعوا أوامر بارئهم وينتهوا عن نواهيه.

وقد أمهل الله عباده مدة كافية لكي يتدبروا الأوامر والنواهي ويستدركوا ما يفوتهم ويصحح وا أخطاءهم.

تأمل أولًا: كيف منح الله العباد المدة الكافية في سنوات عمرهم حتى يتمكنوا من استيعاب رسالة الله إليهم ثم الاستقامة على أوامره وذلك قبل أن تصدر الأحكام في حقهم كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧]

استمع لقول الله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥]

أَيْ: أَخْبِرْنِي إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ فِي الدُّنْيَا مُتَطَاوِلَةً، وَطَوَّلْنَا لَهُمُ الْأَعْمَارَ.[١]

ولأن هذه الحجة خطيرة للغاية فقد حذر النبى ﷺ من مغبتها فقال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا فَعَلَ بِهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ، فِيمَا أَبْلَاهُ»[٢]

---

(١) «تفسير فتح القدير» (٤/١١٩).

(٢) أخرجه عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ ﷺ، الدارمي (٥٥٤) واللفظ له، والترمذي (٢٤١٧) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

ثم تدبر ثانيًا: كيف أن الله ﷻ لم يعجل العقوبة للعباد إن هم أخطئوا، بل أمهلهم حتى يستدركوا. انظر لرحمة الله إذ يمهل عباده فيقول: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ[1] وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَإِذا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥]

ثم تفكر ثالثًا: كيف مع تأجيل العقوبة يكون التذكيرمن الله بالموعظة لمن حاد عن الطريق القويم (لعلهم يرجعون)

وقد تكفل الله بالتذكير الدائم لكلمة التوحيد لعل المشركين يرجعون عن شركهم، فقال تعالى في سياق الحديث عن أبي الأنبياء إبراهيم- عليه السلام: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ **لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الزخرف: ٢٨]

قال قتادة: هي شهادة أن لا إله إلا الله، والتوحيد لم يزل في ذرية إبراهيم ﷺ من يقولها من بعده[2]......**(لعلهم يرجعون)**

انظر كيف تكفل الله بجعل الدعوة إلى كلمة التوحيد باقية لا تنقطع أبدا، أليس في ذلك حجة على العباد؟

بعد ذلك تدبر إنزال العقوبة من الله للتقويم والإصلاح وذلك لمن لم تجد معه الموعظة (**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**) من الاعوجاج إلى الاستقامة كما قال تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١]

انظر إلى التدرج في إمهال الله للعباد لعلهم يرجعون إليه.

---

(١) وَالدَّابَّةُ: كُلُّ حَيٍّ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ.

(٢) تفسير الطبري (٢٥/ ٣٩).

بعد أن تتدبر ما سبق انظر إلى هذا التنبيه الجليل قبل أن تقام على العباد هذه الحجة: « **اغْتَنِمْ خَمْسًا** قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»[1].

ماذا بعد هذه الحجة؟

فطر الله ﷻ نفسك على معرفة الله ربًا واحدًا لا شريك له، ثم **أمهلك**، لعلك تبقى على فطرة الله نقية من الشوائب.

وأعلمك أن كل شيء يسبح بحمده، ثم **أمهلك**، لعلك تكون مع المسبحين.

وسوى خلقك، ثم **أمهلك**، عسى أن تعمل جوارحك الخيرات.

وسخر لك من الأشياء ما تعلمه وما لا تعلمه، لعلك تستحي، ولا تفعل السيئات.

ثم عملت السيئات، فلم يعجل لك العقوبة...! بل **أمهلك**، لعلك ترجع إليه فهو- سبحانه وتعالى- يفرح بتوبتك فرحا لا تقدره[2].

ثم لما أصررت على فعل السيئات، وتركت فعل الخيرات، ابتلاك بما فيه إصلاحك، وليس فيه إهلاكك، ثم **أمهلك!!**... حتى يكون في الابتلاء علاجك.

حسبك أن تكون مبتلى ولا تتضرع ولا تتوب وأنت ترى الله يطيل لك **الإمهال**..!

لقد **أمهلك الله** طوال ساعات الليل وهو يبسط يده إليك لتتوب..

ثم **أمهلك** طوال ساعات النهار وهو يبسط يده إليك لتتوب..

---

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٨٣٢) عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ مُرْسَلًا، قال الحافظ ابن حجر: رُوَاتُهُ ثِقَاتٌ.

(٢) فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالله للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ». أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (١- ٢٦٧٥) واللفظ له.

ثم **أمهلك** كذلك طوال الصيف......ثم طوال الشتاء

ثم **أمهلك** على طول العام.

ثم **أمهلك** بعد كل عام عاما[1]

أما تخشى أن يكون آخرك هذا العام!!!

❊ ❊ ❊

(١) فعَنْ أَبِي مُوسَى ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا». أخرجه مسلم (٣١- ٢٧٥٩).

5

الحجة الخامسة
اصطفاء الله ﷻ للرسل

وقد أعذر الله ﷻ إلى عباده حينما اختار لهم رسلا يذكرونهم بالفطرة النقية ويبينوا لهم الأوامر والنواهي، فاختارهم الله من أجمل الناس صورة وبهاء، وأعذبهم منطقا ولسانا، وأكملهم خلقا ووفاء، وأصدقهم سيرة ومقالا، وأنقاهم سريرة وحالا.

قال تعالى: ﴿ الله **يَصْطَفِي** مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]

وبعد اصطفاء الله للرسل كلفهم بتبليغ رسالته للناس كما قال تعالى: ﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ** لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا **الرَّسُولُ** بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ الله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقد جاء الرسل بالتذكير والتنبيه المتتابع ولبثوا في قومهم مدة كافية وجاءوا بلسان قومهم، وكانت حجة الله واضحة في اختياره للرسل على أجمل خلق وهيئة.

انظر لاصطفاء الله لموسى عليه السلام بقوله: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ وقوله تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ قال الزجاج: المراد: «اخترتك لإقامة حجتي، وجعلتك بيني

وبين خلقي؛ حتى صرت في التبليغ عني بالمنزلة التي أكون أنا بها لو خاطبتهم واحتججت عليهم».[1]

ثم تدبر اصطفاءه لخاتم النبيين بقوله ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ حيث كان خلقه ودينه القرآن[2] الذى هو أفضل كتب الله (هذا فيما يخص دينه وخلقه). وأما بهاء وجمال هيئته عليه الصلاة والسلام فقد تأملها من شاهده ووصفها لمن بعده[3].

انظر لاصطفاء الله للنبي محمد ﷺ على أكمل دين وخلق وهيئة ليكون بذلك خاتما للنبيين ورسول الله إلى كل المكلفين، فكان ﷺ باصطفاء ربه له: «**سَيِّد وَلَدِ آدَمَ** يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّل مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّل شَافِعٍ وَأَوَّل مُشَفَّعٍ»[4].

ماذا بعد هذه الحجة؟

لقد أقام الله ﷻ عليك الحجة أيها الإنسان[5] بأن أرسل إليك أجمل رسول، واختار له أجمل الأسماء، والتي لم يسم بها أحد من قبل[6] وهي عذبة المنطق على لسانك ويذكرك الاسم بمعناه حتى يكون لمعناه أثر في نفسك، فقد كان– صلى الله عليه وآله

(١) «الوسيط في تفسير القرآن المجيد» لأبي الحسن الواحدي. (٣/ ٢٠٧).

(٢) انظر حديث أم المؤمنين عائشة في صحيح مسلم (١٣٩– ٧٤٦).

(٣) (انظر صفحة ٣٠).

(٤) أخرجه مسلم، من حديث أبي هُرَيْرَةَ ؓ (٣– ٢٢٧٨).

(٥) اختص الرسول محمد ﷺ دون سائر الرسل بأن أرسله الله إِلَى النَّاسِ عَامَّةً كما قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ)

(٦) أخرجه البخاري (٣٥٣٢) ومسلم (١٢٥– ٢٣٥٤) واللفظ له (انظر ملحق ٦– حديث رقم ١٣).

وسلم- أحمد الناس لربه وهو محمود الصفات، ولقد أنبأ الله بهذا الاسم المحمود قبل أن يولد ويبعث وذلك في الكتب المقدسة وهي التوراة والإنجيل[1].

لقد اختار الله ﷻ من عباده هذا الرسول الخاتم ﷺ، ليرسله لك أيها الإنسان، فلم يكن من رؤساء القبائل ولا ملوك الدول، ولا أثرياء الناس، بل كان سيد كل هؤلاء وغيرهم، إنه محمد سيد ولد آدم.

لقد اختار الله ﷻ الرسول محمدا ﷺمن أجلك؛ فكان أَزْهَرَ اللَّوْنِ، بل كان أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا[2] فكان وجهه مِثْلَ القَمَرِ[3] بل كأن الشمس تجري في وجهه.

لقد اختار الله لك الرسول محمدًا؛ فكان وسيمًا قسيمًا، ولم يكن جميل المنظر فحسب بل اختاره من أجلك، فكان ملمسه أَلْيَنَ من الحرير[4] ورائحته أطيب من المسك[5] بل كان عرقه «مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ»[6] وكان منطقه كأنما خرزات يتحدرن «فَكَانَ كَلَامُه كَلَامًا فَصْلًا يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ»[7].

وكان موفور العقل، سريع البديهة، معتدل الحركات.

---

(١) قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٦]

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٤٩) ومسلم (٩٣- ٢٣٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٥٢).

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٦١).

(٥) أخرجه البخاري (٣٥٥٣) واللفظ له، ومسلم (٢٥٢-٥٠٣).

(٦) أخرجه البخاري (٦٢٨١)، ومسلم (٨٣- ٢٣٣١). واللفظ له.

(٧) أخرجه أبو داود (٤٨٣٩) وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى.

لقد كان أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحلاهم وأحسنهم من قريب، منشأه بأكرم بلد، ناطقا بأشرف لغة، منحدرا من أعرق نسب، متصفا بأنبل خلق، فبلغك الرسالة صادقًا أمينًا بلا زيادة ولا نقصان.

إن اختيار الله ﷻ لهذا الرسول ﷺ المتصف بكل جمال، ليرسله لك، فيه تكريم وتقدير لك أيها الإنسان، فهل وعيت هذه الحجة الجديدة؟

وقدرت هذا التكريم؟

ومن الناس من آمن بالرسول محمد ﷺ قبل النظر في الآيات التي أيده الله بها، كالسيدة خديجة وأبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب– رضى الله عنهم–، لـمِاَ جمع الله لهذا الرسول من عظيم الشمائل وكريم الصفات، ومنهم من آمن به مما رأى من الآيات التي أيده الله بها.

❊ ❊ ❊

6

الحجة السادسة
الآيات التي جاءت بها الرسل

وقد أيد الله ﷻ رسله بالآيات لتكون دليلا على صدق نبوتهم، وحجة على من أنكرهم، وقد اشتمل القرآن على خبر من قبلنا من ذكر الآيات المتنوعة التي جاءت بها الرسل، إلا أن المعجزات التى أيد الله ﷻ بها رسوله محمدًا ﷺ كانت متنوعة وذات خصوصية، لتحمل في طياتها الحجة الدامغة على نبوءة خاتم رسل الله، وحتى لا يبقى لمن خالف الرسول الأمين عذر يعتذر به.

تأمل كيف تنوعت الآيات التى أيد الله بها رسوله محمدا دون سائر الرسل بالمعجزات في السماء والأرض.

ففى السماء انشق القمر فرقتين(١) حين سأله أهل مكة عن آية.

وفى الأرض أيده الله بالمعجزات الكثيرة المتنوعة لتشمل الإنسان والحيوان والشجر والحجر وغيرها.

وتنوعت الآيات التى أيده الله بها في الإنسان لتشمل المؤمن والكافر والمنافق والعاصى، فأما المؤمن فقد رد بصر قتادة بن النعمان حين وقعت إحدى عينيه على وجنته في غزوة أحد، فردها ﷺ فعادت مكانها وكانت أحسن عينيه(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٦٩) ومسلم (٤٥-٢٨٠٠) (انظر ملحق٦- حديث رقم١).

(٢) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٣/ ١٢٠/ ١٥٤٩) وأبو عوانة في «مستخرجه» (٤/ ٣٤٨/ ٦٩٢٩) (انظر ملحق٦ -حديث رقم٢).

وأما الكافر فقد أعمى الله عين أم جميل (زوجة أبي لهب) عن رؤية النبي حينما همت بإيذائه[1].

وأما المنافقون فقد عرف رسول الله ﷺ صفتهم، ودل على عزمهم بقتل الرسول كما حدث في طريق العودة من تبوك، ثم دعا المنافقين بأسمائهم وأخبرهم بما في أنفسهم[2].

وأما العاصى فقد دعا على من أمره بأن يأكل بيمينه، فعصى الأمر، فما كان إلا أن شلت يد العاصى[3].

وأما الحيوان فقد شملت المعجزات فيها الأليف والمفترس وظهرت الآيات فيها بالقول والفعل، فأما بالقول فقد كلمه الجمل الأليف واشتكا إليه[4].

وكذلك كلمه الذئب المفترس وشهد له بالرسالة[5].

وأما المعجزة بفعل الحيوان الأليف، فقد غاصت أرجل فرس سراقة حين هم باللحاق بالرسول في هجرته[6] وذلك حفظا وتكريما من الله لخاتم المرسلين، وأما

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٤/ ٤٤٠/ ٦٥١١) (انظر ملحق٦-حديث رقم ١٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٧٩٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٦٠) (انظر ملحق٦-حديث رقم٤).

(٣) عن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ ﷺ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. أخرجه مسلم (١٠٧- (٢٠٢١).

(٤) أخرجه أحمد (١٧٥٦٥) وغيره، وصححه الألباني رحمه الله تعالى لشواهده (انظر ملحق ٦-حديث رقم ٦).

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (١١٧٩٢) وصححه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (١٢٢).

(٦) أخرجه البخاري (٣٩٠٨) ومسلم (٩١- ٢٠٠٩).

المفترس فقد جاء فعله أيضا حفظا وتكريما لهيبة رسول الله ﷺ، حين دعا على عتيبة بن أبي لهب لما آذى الرسول ﷺ، فاختاره الأسد من بين القوم وهم نيام ليذبحه[1].

وأما الشجر فقد شملت المعجزات فيها الأخضر واليابس، فأما الأخضر فقد دعا الرسول الشجرة فجاءت تمشي إليه حتى قامت بين يديه، ثم أمرها فرجعت إلى مكانها[2]. وأما اليابس فقد حن الجذع إليه وصاح صياح الصبى حين تركه واستعمل المنبر، وقد كان من قبل يخطب وهو مستند لذلك الجذع[3].

وأما الحجر فكان للصغير والكبير فيه معجزة، فأما الصغير فقد سبح الحصى في يديه[4] وأما الكبير من الحجر فقد سلم عليه[5].

وكل ما سبق من المعجزات فهو على سبيل المثال لا الحصر. وأما الآية الكبرى والمعجزة الباقية الدالة على نبوة رسول الله محمد ﷺ فهى القرآن الكريم والتى تستحق أن تكون حجة مستقلة.

***

(١) أخرجه الحاكم في «المستدك» (٣٩٨٤) وقال: «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» وصححه الذهبي، وقال ابن حجر: وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ. الفتح (٤/ ٣٩). (انظر ملحق ٦، حديث رقم ١٥).

(٢) أخرجه الدارمي في «سننه» (١٦) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «المشكاة» (٥٩٢٥-٥٨). (انظر ملحق ٦، حديث رقم ٩).

(٣) أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» (٣٥٨٤). (انظر ملحق ٦، حديث رقم ١٠).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في «كتاب السنة» (١١٤٦) وقال الشيخ الألباني رحمه الله : صحيح. (انظر ملحق ٦، حديث رقم ١١).

(٥) أخرجه مسلم (٢- ٢٢٧٧) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ».

7 الحجة السابعة

إعجـاز القرآن الكريم

لقد جاء النبي ﷺ بالقرآن الكريم مبلغا به أهل مكة أول الأمر وهو بلاغ للناس أجمعين إلى يوم القيامة، فآمن منهم من شرح الله صدره للإسلام، وأما غيرهم فوقفوا متحيرين من هذا القول لما فيه من الإعجاز، فقد اشتمل على أوجه متعددة من الإعجاز وجب عليك أيها الإنسان أن تتفكر فيها.

وقبل أن تتفكر في إعجاز القرآن يجب أن تنتبه إلى أن أعظم وجوه التفكر في إعجاز القرآن هو الإعجاز اللغوى، ولكن ذلك يتطلب دراية كافية باللغة العربية وهو ما لا يتوافر عند الكثيرين، لذلك كان من المهم أن نبين لك فيما يلى أحوال أهل اللغة الذين أيقنوا بإعجاز القرآن ونكشف لك موقف من آمن ومنهم من كفر، حتى يسهل التفكر عند الكثيرين.

فتأمل أولًا: اعتراف العرب بالإعجاز في صياغة القرآن

لقد نزل القرآن على العرب وهم معروفون بقدراتهم الفائقة في صياغة اللغة والشعر والنثر ويجيدون كل هذا بطلاقة، ولهم مهارة في تقييم الشعراء والبلغاء في الكتابة والنثر، ولكنهم وجدوا القرآن مغايرا لما عهدوه من الشعر والنثر، فلما اجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة فقال لهم: أجمعوا رأيكم فيه، فقالوا: نقول إنه كاهن فقال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولاسجعه. قالوا: فنقول مجنون، قال: لقد رأينا الجنون وعرفناه، ما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا

فنقول: شاعر، قال: ماهو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول ساحر. قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم. قالوا: فما نقول؟ قال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل[1].

وهكذا اعترف أهل الفصاحة واللغة من كفار قريش في لحظة صدق بإعجاز القرآن وعجزهم عن الانتقاص من الحق الذي جاء به.

ثم تأمل ثانيًا: في تحيرهم في كون القرآن من مصدر واحد وليس مؤلفا من مصادر متعددة:

لقد كانت براعة العرب في نظم الكلام تتجه للوصف والغزل والثناء والهجاء وأشباه ذلك، لكنهم اندهشوا من أن القرآن يخبرهم عن علم لم يألفوه من قبل فزادت بذلك حيرتهم. ونظرا لما لهم من تذوق رفيع في اللغة فقد علموا أن هذه الصياغة البديعة وهذا العلم الجديد مصدره واحد. لكنهم تحيروا في معرفة هذا المصدر الذي تأتي منه هذه الآيات العجيبة، وظلوا يفكرون ما هو هذا المصدر الواحد؟، فذهبوا كل مذهب وأبوا أن يعترفوا بنسبة الكلام إلى الله ؛ لأن هذا الاعتراف سيضطرهم إلى التنازل عن زعامات وشهوات.

وكفار مكة يعلمون أنه لم يكن لدى النبي ﷺ مصادر يمكن من خلالها أن يأتي بمثل هذا الكتاب المشتمل على كل هذا العلم الذى يتحدى من يملكون المهارات

---

(١) أخرجه بنحوه الحاكم في «المستدرك»(٣٨٧٢) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ». وأورده الشيخ الألباني في «صحيح السيرة» (١/ ١٥٨).

والقدرات وكذلك من يملكون المصادر المختلفة للعلوم. وأهل مكة يعرفون كل شيء عن النبي وأنه لا يقرأ ولا يكتب فلم يطلع على مصادر أخرى، كذلك لم يلتق بمن يعلمه أو يخبره بشيء من العلم ولذلك لم يجدوا إلا أن يختلقوا الكذب ويتهموه بأنه يلتقي بمن يعلمه، لعل أن تكون في هذه الأكذوبة راحة لأنفسهم من عناء الصراع النفسى والتفكير المستمر.

ولا شك في أن من ألف كتابا لابد أن يحتاج إلى مصادر متعددة يستعين بها ليعلم ما كتبه الأولون ثم يبني على ذلك، أو يستعين بغيره في استقاء معلومة، أو توضيح غامض، أو يكتب شيئا ثم يعرضه على غيره، فيضيف أو يحذف، أو يقره على ما كتب.

أما كون القرآن يأتي من مصدر واحد وبهذه القوة، ودون الاستعانه بمصدر آخر، ودون تردد، فهذا إعجاز يدل على أنه ليس في مقدور المخلوقين أن يأتوا بمثله.

ثالثًا: عليك أن تتأمل كيف أن القرآن (ذا المصدر الواحد) كان كله على نسق واحد من القوة؟

فلا يوجد ضعف في جزء منه بل كله على نفس القوة، ولهذا كان التحدي للكفار بأن يأتوا بمثله[1] ثم بعشر سور[2] ثم بسورة[3] فلم يستطيعوا، ولو كان في بعض أجزائه ضعف، لسنحت الفرصة للكفار ليأتوا بمثل هذا الجزء الضعيف ولكن هذا لم يحدث.

---

(١) ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور:٣٤]

(٢) ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود:١٣].

(٣) ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [يونس:٣٨]

قال أبو الحسن حازم بن محمد: «إن الإعجاز في القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمرارا لا توجد له فترة[1].

وأما كلام البشر فتقع منه الفترة إما بسهو أو جهل أو سآمة تعتري الفكر أو هوى للنفس فهذه آفات لا يخلو منها الإنسان الفاضل»[2].

رابعًا: عليك أن تنظر في اشتمال القرآن على الحق في كل ما يحتاج إليه الناس.

فمن إعجاز القرآن أيضا اشتماله على جملة من الحقائق واضحة البرهان، مصحوبة بانتفاء أى نقصان، عابرة كل الأذهان بأبلغ عبارة وبيان، ليبقى بريقها في كل مكان وزمان.

ومعلوم أن من ألف كتابا سوف يسعى للحد مما يورده من الحقائق، خاصة إذا كانت تنشر لأول مرة، وذلك خشية أن يظهر ما يبطلها. أما الحقائق التي وردت في القرآن فإنها على كثرتها وتنوعها فقد أعجزت البشر عن إثبات أنها تشتمل على أدنى نوع من الباطل، وكلما ادعى الجاحدون شيئا من ذلك، قيض الله ﷻ علماء ربانيين يفندون به مزاعم الجاحدين، ليبقى القرآن خالدا شامخا ناطقا بالحق.

وهذه الحقائق تنوعت «من تعريف بخالق الأكوان، وأسمائه وصفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان لطريق عبادته، من تحليل وتحريم وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهي عن منكر وإخبار عن القرون الماضية والكوائن المستقبلية، جامعا

(١) فترة: من الفتور وهو الضعف والوهن.

(٢) «منهاج البلغاء» (٣٨٩-٣٩٠)

في ذلك بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول عليه، وكل ذلك بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم الكلام، مضمنا أصح المعاني»[1].

فعلى سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] ألفاظ يسيرة ذات معان كثيرة، ببلاغة غير منتهية الحد، فقد جمعت بين نقيضين، القتل والحياة، وجعلت الموت سببا للحياة[2].

خامسًا: عليك أن تتدبر كيف جمع القرآن بين النقيضين في علم البلاغة.

والمقصود بالنقيضين هنا جزالة الألفاظ وعذوبتها، فهما كالمتضادين لا يجتمعان في كلام البشر؛ لأن الجزالة من الألفاظ التي لا توجد إلا بما يشوبها من القوة وبعض الوعورة، والعذوبة منها ما يضادها من السلاسة والسهولة، فمن نحا نحو الصورة الأولى فإنما يقصد الفخامة والروعة في الأسماع، مثل الفصحاء من الأعراب وفحول الشعراء منهم. ومن نحا نحو الثانية قصد كون الكلام في السماع أعذب وأشهى وألذ، مثل أشعار المخضرمين ومن دنا منهم من المتأخرين.

وترى ألفاظ القرآن قد جمعت في نظمه كلتا الصفتين وذلك من أعظم وجوه البلاغة والإعجاز[3]. وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثل هذا الجمع بين النقيضين؛ لأن اللغة العربية من الاتساع بمكان بحيث يستحيل على البشر الإحاطة بكل أسمائها وأوضاعها وجميع

---

(١) «بيان إعجاز القرآن» لأبي سليمان الخطابي.

(٢) «القرآن والعلم الحديث» لعبد الرزاق نوفل (ص ١٢).

(٣) «البرهان في علوم القرآن» (٢/ ١٠٧).

المعانى وارتباط بعضها ببعض، في حين جاء القرآن بهذه التراكيب اللغوية الفريدة؛ لأن الله قد أحاط بكل شيء علما، ومن هنا حصل عجز البشر.

سادسًا: عليك أن تتأمل صمت قريش تجاه تحدى القرآن لهم.

دعنا نتساءل لماذا أعرضت قريش عن قبول التحدى بالمحاولة بالإتيان بمثل القرآن؟

وهل يعقل أن يستنفر أهل البلاغة في قريش وهم ذوو الأنفس الأبية والهمم العلية والأنفة والحمية، ثم لا يستثارون ولا ينفرون ولا يحاولون إيراد ما يشابه القرآن أو يدانيه؟

ثم لنتأمل كيف أنهم استعاضوا عن ذلك بايذاء الرسول ﷺ ومحاولة قتله؟

«لقد عرفنا قصة جرير والفرزدق، وكل شاعرين جمعهما عصر، ثم عرض بينهما ما يهيج على المقاولة ويدعو إلى المفاخرة والمنافرة، كيف جد كل واحد منهما في مغالبة الآخر، وكيف جعل ذلك همه ووُكْدَه[1] وقصر عليه دهره؟ هذا وليس به، ولا يخشى، إلا أن يقضى لصاحبه بأنه أشعر منه»[2].

لنتأمل صمت العاجزين من فحول اللغة في جزيرة العرب، ثم لننظر لعجز من جاء بعدهم، حتى نتعرف على حجة الله على عباده بهذا القرآن المعجز.

---

(١) (سعيه وجهده).

(٢) «دلائل إعجاز القرآن» لعبد القاهر الجرجانى ص(٥٧٨).

سابعًا: وبعد صمت العاجزين؛ عليك أن تستمع لنطق الناطقين من جهابذة العلماء المسلمين.

إن فحول الشعراء وجهابذة العلماء وأصحاب العقول الفذة من المسلمين قد اعترفوا بإعجاز القرآن وتحيروا من عجائبه، فهذا ابن مالك صاحب الألفية المشهورة في النحو يعترف بإعجاز القرآن في علم النحو، واعتمد هو وغيره من النحاة على القرآن الكريم كمصدر أساسي للاستشهاد في علم النحو، وذاك ابن قيم الجوزية صاحب القصيدة النونية[1] والعقلية العلمية المبهرة يقر بإعجاز القرآن في مختلف العلوم، ونقل هو وغيره من علوم القرآن ما يصقل مواهبهم وقدراتهم، وكذلك ابن الجوزي صاحب البراعة في إسالة الدموع بمواعظه وأشعاره يقر بإعجاز القرآن في طريقة الوعظ، فلا يجد أفضل من القرآن معينا ينهل منه لينقح أقواله.

وكلهم وأمثالهم من مئات الآلاف من العلماء المسلمين وأولو الألباب يخرون للأذقان يبكون سجدا تعبدا لله منزل القرآن المعجز.

انظر كيف قهر الله بكلامه المعجز أمثال هؤلاء من العلماء والعباقرة وغيرهم.

قارن بين صمت العاجزين ونطق الناطقين ثم تفكر..!! هل عرف الإنسان كتابا غير القرآن له مثل هذا الأثر؟

ثامنًا: عليك أن تتأمل أثر القرآن في الأسماع وإعجازه في التغني!!

أثبت البحاث من علماء العرب والمشتغلين باللغة العربية أن في القرآن الكريم من الإيقاع الصوتى ما يلمسه القارئ ويحس به المستمع، وهذا الإيقاع الصوتى يتمثل في مقاطعه وفواصله، وفي سوره وآياته، فمنها وُرُودُ ألفاظٍ غريبةٍ ذات رنين خاص

(١) تتكون القصيدة النونية من ألف بيت.

كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ إذا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ [النجم: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: ٤].

وعند تَكرَار بعض الألفاظ في آيات متلاحقة يميز الإنسان الإيقاع الصوتى الذى ينبعث عند تلاوتها كقوله تعالى:﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦] ومن الموسيقى التي لوحظت في القرآن الكريم تلك التي تسمى في لغة الموسيقى (نوار-٢) إذ تتكون الكلمة من مقطعين متماثلين متكررين في سرعة وتوال مثل قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾[الشعراء: ٩٤][1] وتستمر هذه الموسيقى سواء انتقل الكلام من قصة، أو وعد، أو وعيد، أو وعظ، أو تذكير، أو أحكام شرعية، أو مسائل مواريث، أو غيرها. فترى هذه اللذة في الأذان قد استهوت السامعين على اختلاف درجات إيمانهم، ينشدونها في قراءة هذا أو ذاك طلبا للذة والاستمتاع.

قال الإمام الزركشى: «فالأذان بأقراطه حالية[2] والأذهان من أسماطه[3] غير خالية، فهو من تناسب الفاظه، وتناسق أغراضه، قلادة ذات اتساق، ومن تَبَسُمِ زَهْرِهِ، وتَنَسُمِ نَشْرِه، حديقة مبهجة للنفوس والأسماع والأحداق، كل كلمة منه لها من نفسها طرب، ومن ذاتها عجب[4].

(١) «القرآن والعلم والحديث» لعبد الرزاق نوفل (ص ١٤- ١٦).

(٢) أى أن الأذان تتحلى بسماع القرآن وكأنها تتحلى بأقراط من ذهب.

(٣) أسماط جمع (سُمُط) أو (سُماط) وهو الشىء المنتظم كالخيط فيه الخرزات أو كالقلائد.

(٤) «البرهان في علوم القرآن» (١/ ٤).

تاسعًا: عليك أن تتفكر في صنيعه بالقلوب!!

«ففي القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا النادر من آحادهم، وهو صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في الحال[1].

وأعجب من ذلك تأثيره في قلوب الأطفال والأميين وغير الناطقين بالعربية.

ومما يزيد هذا النوع من الإعجاز تنوعا، أن المستمع يتأثر بالتلاوة من قارئ، ثم إذا استمع لنفس الآيات من قارئ آخر أحدث ذلك تأثيرا مختلفا، وذلك تبعا لاختلاف نبرات الصوت لكل قارئ، وما في نفس القارئ من مشاعر وتذوق للآيات، فينتج من ذلك عدد لا حصر له من التأثير النفسي لآيات القرآن المعجز.

تفكر كيف أن النبى- عليه الصلاة والسلام- طلب أن يستمع للقرآن بقراءة عبد الله بن مسعود، وبكى من تأثره بالآيات[2].

عاشرًا: عليك أن تنظر في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

لقد أثبتت الدراسات أن آيات القرآن سبقت كثيرا مما تم اكتشافه من العلوم الحديثة، فعلى سبيل المثال: جاءت آيات القرآن متوافقة مع الكشف عن بصمة الأصابع، وكروية الأرض، ونشأة الكون، ومواقع النجوم، وأن منها نجوما تكنس الفضاء، وعدم امتزاج الماء المالح بالعذب عند مصب الأنهار، وكذلك ما أثبتته الأبحاث من أن القمر قد انشق من قبل، وكذلك توزيع الجبال وتكوينها، ورفع السماء بغير عمد مرئية، وأنها بناء وليست فراغا.

---

(١) «إعجاز القرآن» للخطابي (ص ٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٥٥) ومسلم (٢٤٧- (٨٠٠)).

وكذلك الكشف عن مراحل تطور الجنين، وأسرار جسم الإنسان، كوجود مركز الإرادة بالمخ في الفص الأمامي (الناصية) ووجود الخصيتين في صلب الرجل بجوار العمود الفقري قبل نزولها للمكان النهائي، ووجود مراكز الإحساس بالجلد.

هذا كله على سبيل المثال لا الحصر.. ومن أراد المزيد من هذا الوجه من الإعجاز فليراجع المصادر الخاصة للإعجاز العلمى للقرآن الكريم فسوف يرى عجبًا[1].

حادى عشر: عليك أن تنظر في عجز العاجزين عن أن ينالوا من حفظ القرآن على مر العصور.

إن القرآن مع كثرة أعدائه لم يستطيعوا على مر القرون أن يمحوا منه حرفًا واحدًا أو يبدلوه. فهل عرف التاريخ كتابا له مثل هذا الكم من الأعداء مع عجزهم عن أن ينالوا من حفظه؟ لقد اعترف أحد قادة الانجليز بأن بقاء القرآن هو أهم عائق لقهر المسلمين، وتعجب من أنه بعد مرور أربعة عشر قرنا لا يزال القرآن يتلى بنفس الجودة وكأنه يخرج من فم الرسول- صلى الله عليه وسلم.

وختاما هل تفكرت أن كل ماسبق ذكره كان من نبي أميٍّ؟

فأي حجة هذه تكون؟ وبأي حديث بعده يؤمنون؟

❊ ❊ ❊

---

(١) كتاب «إنه الحق» (ص ٣١) وراجع: «موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة» لمحمد النابلسي.

8

الحجة الثامنة

حفظ الله ﷻ لبعض الآيات التي حدثت في زمن الرسل

حفظ الله ﷻ بعض الآيات التي حدثت في زمن الرسل لتبقى حجة على من عاينها.

تأمل حفظ جسد فرعون الذى طاف بالبلدان ليكون لمن خلفه آية كما قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢]

ثم تفكر في حفظ الله لبعض آثار آل فرعون مثل الأهرامات والمعابد بمصر لتكون شاهدة على ما وصلوا إليه من علو في الأرض، وكيف أن الله قد أزال سلطانهم لما كفروا برسوله– عليه السلام.

فهل من ناظر في آثارهم؟ ومعتبر بهم؟ فإنها حجة واضحة للعيان، باقية ردحًا [١] من الزمان، لمن أراد أن يزداد من الإيمان.

ثم تذكر حفظ ديار عاد وثمود إلى الآن كما قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣٨]

ماذا بعد هذه الحجة؟

أبقى الله ﷻ لنا ما شاء من الآيات التي أيد بها الرسل فيما سبق، فهل وعيناها ليزداد إيماننا؟ وهل تدبرنا القرآن (الحجة الباقية أبد الدهر) وعلمنا أوجه الإعجاز فيه؟

***

(١) الردح من الزمان: أى المدة الطويلة.

9

الحجة التاسعة

إنبــاء الرسل عن الله ﷻ

زادت حجة الله ﷻ على عباده بأن أوحى إلى رسله من الأنباء ما لا يعلمه إلا الله، ليكون إنباء الرسل دليلا وحجة بأن الرسول لا ينطق عن الهوى، وما هو إلا وحي يوحى، ولتقوم تلك الحجة على كل من لم يطع الرسل.

ولم تكن هذه الأنباء لتحدث ثم لتنقطع حتى لا يتوهم أحد أن ذلك من قبيل الصدفة، بل تكررت وتنوعت من حيث الزمان والمكان ونوع الحدث، وقد كانت هذه الحجة واضحة في إنباء النبي محمد- صلى الله عليه وسلم.

تأمل أولا: كيف أن النبى محمد أنبأ بأمور فتحققت في الحال:

- من ذلك إنباؤه أثناء سير الجيش إلى تبوك للقادم من بعيد، أنه أبو ذر، فقال الرسول (**كن أبا ذر**) فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، والله هو أبو ذر، فكان كما أخبر[١].

- ومنها إخباره لعمير بن وهب عندما قدم إلى المدينة عازما على قتل الرسول- صلى الله عليه وسلم- فأخبره الرسول بما خبأه في نفسه من عزمه على قتل الرسول، وأن ذلك كان بالاتفاق مع صفوان بن أمية في مكة، فكان الخبر كما أخبر الرسول، وكان ذلك سببا في إسلام عمير في الحال[٢]

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في "السيرة" (٤ / ١٧٩- ابن هشام) والحاكم (٣ / ٥٠-٥١).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٧/ ٥٦-٦١) ، وهو في سيرة ابن هشام (١/ ٦٦١٦٦٣)..

ثم تأمل ثانيًا: أمورًا أخرى أنبأ بها النبى وأنبأ بزمان ومكان تحققها فكانت كما أخبر:

- منها مشيه- صلى الله عليه وسلم- في مكان موقعة بدر قبل المعركة وجعل يشير بيده ويقول: «**هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله** »، فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطئوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ[1].

فإنباؤه بالقتل لهؤلاء النفر من الكفار نبوءة بذلك الحدث، وإنباؤه عن الزمان نبوءة ثانية؛ لأن ظروف الحرب قد تتغير ويتأخر موعد القتال أو يتقدم ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾[الأنفال: ٤٢] وكذلك إنباؤه عن المكان الذي سيلقى فيه هؤلاء الكفار مصرعهم نبوءة ثالثة.

ثالثًا: انظر بعد ذلك لإنبائه لأمور بأنها ستظل على حالها أثناء حياته، فكانت كما أخبر:

- منها إنباؤه عن ربه تعالى ببقاء عمه أبي لهب على ملة الكفر، ولم يحدث أن حاول أبو لهب (من نفسه أو بإيعاز من أى أحد من أعداء الإسلام) بادعاء الاسلام حتى لا تتحقق النبوءة.

فتأمل كيف أعماهم الله عن ذلك، ثم تأمل الغلبة لمشيئة الله لتتحقق النبوءة.

رابعًا: تفكر في أن مما يزيد إنباء الرسول تنوعًا، أنه أنبأ عن أمور أخرى بأنها ستكون في حياته على عكس ما يتوقعه الناس، فكانت كما أخبر:

---

(١) أخرجه مسلم (٧٦/ ٢٨٧٣).

- منها إنباؤه ﷺ عن الرجل المقاتل بقوله: «هو من أهل النار»[1] على عكس ظن المسلمين به لما شاهدوه يقاتل قتالا حسنا في صفوف المسلمين، فلما تفقده المسلمون بعد المعركة، فإذا بحال الرجل يصدق نبوءة النبي بأنه لم يقاتل إلا حمية عن قومه، ثم قتل نفسه بعد إصابته؛ لأنه لم يتحمل الألم. لتتحقق النبوءة.

- ومنها إنباؤه ﷺ عن انتصار الروم بالرغم من هزيمتهم أمام الفرس في العام الثامن من بعثة النبي في مكة، فنزلت الآية الكريمة[2] تنبئ بسير الأحداث على عكس ما يتوقعه الناس مؤمنهم وكافرهم، وقد كان الكفار يفرحون بانتصار الفرس؛ لأن الفرس وثنيون مثلهم فهم مجوس يعبدون الشمس والقمر والمؤمنون يفرحون (نفسيا) بنصر الروم؛ لأنهم يؤمنون بالله والوحي والمسيح، فسارت الأحداث بعد ذلك على عكس ما يتوقعه الناس حتى تحقق النصر للروم في العام السابع للهجرة ورسول الله في المدينة تأتيه الأخبار بتصديق ما أنبئ به من قبل من وحي الله ﷻ له وصدق الله ورسوله[3].

خامسًا: بعد تأملك في الإنباء السابق في حياة النبي، ستجد أنه عليه الصلا ة والسلام أنبأ أيضا بأمور أخرى بأنها ستكون بعد وفاته على عكس ما يتوقعه الناس فتحقق النبأ كما أخبر.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة (٢٨٩٨) ومسلم (١٧٩-١١٢).

(٢) ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ الله يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥)﴾ [الروم: ٢-٥]

(٣) أخرجه الترمذي (٣١٩٣) من حديث ابن عباس، وقال: حَسَنٌ غَرِيبٌ. وصححه الألباني.

- منها إنباؤه ﷺ وهو واقف على جبل أحد عندما ارتج الجبل فقال له: «**اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ**»[1].

(والمقصود بالشهيدين عمر وعثمان- رضي الله عنهما) فأنبأ عن كون عمر وعثمان شهيدين، وقد حدث أن تولى عمر وعثمان الإمارة في المدينة ولم يشاركا في قتال، فلم يتوقع أحد كيفية السبيل لاستشهادهما حتى ماتا شهيدين رضي الله عنهما كما أنبأ من قبلُ الصادق الأمين.

- ومنها إنباؤه ﷺ عن تداعي الأمم على أمة الإسلام على عكس المتوقع بأن ذلك قد يكون سببه قلة العدد، فأخبر- صلى الله عليه وسلم- بقوله: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ...»[2].

سادسًا: لك أن تتأمل أمورًا أخرى أنبأ بها عليه الصلاة والسلام، ولم يحدد زمان وقوعها، فتحقق بعضها في حياته وبعضها بعد وفاته:

- منها إنباؤه ﷺ يوم حفر الخندق، أنه أعطي مفاتيح الشام وفارس واليمن، فتحقق فتح اليمن في حياته ثم تحقق فتح الشام وفارس بعد وفاته، فقد أنبأ يوم الخندق وهو يضرب بالمعول صخرة استعصت على من يحفرون الخندق، فأخذ المعول فقال: «**بسم الله** » فضرب ضربة فكسر ثلثها وقال: « **الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة**»، ثم ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر فقال: « **الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض**»، ثم ضرب الثالثة وقال:

(١) أخرجه البخاري من حديث أَنَس ﷺ (٣٦٧٥).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث ثَوْبَان ﷺ (٤٢٩٧).

«بسم الله فقطع بقية الحجر فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة»[1].

سابعًا: وتبقى أمور أنبأ عليه الصلا ة والسلام بحدوثها ولم تتحقق إلى الآن، إلا أن الأدلة العلمية الحديثة أكدت تصديق النبوءة[2]:

ومثال ذلك قوله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا»[3]

فقد أثبتت النظريات العلمية الحديثة أن أرض العرب كانت مروجًا وأنهارًا في العصر الجليدي، ثم إن الثلوج المتراكمة في القطب الشمالي قد بدأت بالفعل بالذوبان والزحف نحو الجنوب، حتى تصل إلى المناطق القريبة من بلاد العرب فتحولها إلى بساتين ومروج وأنهار كما أخبر بذلك رسول رب العالمين[4].

ثامنًا: النبأ العظيم

فقد أنبأ النبى ﷺ بأن النبأ العظيم (يوم القيامة) متحقق لا محالة

لقد شاهدت صدق النبى عند كل نبأ.

فما درجة يقينك في تصديق هذا النبأ؟.

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٦٩٤) وغيره.

(٢) (النبوءة) سفارة بَين الله عز وَجل وَبَين ذَوي الْعُقُول لإزاحة عللها (وتبدل الْهمزَة واوا وتدغم فَيُقَال النُّبُوَّة). و(النبيء) الْمخبر عَن الله عز وَجل (وتبدل الْهمزَة يَاء وتدغم فَيُقَال النَّبِي). «المعجم الوسيط» (٢/ ٨٩٦).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَة ﷺ (٦٠- ١٥٧).

(٤) انظر: كتاب «إنه الحق» (ص ٤٠).

والنبي ﷺ قد أخبر عن الله، وحمل الأنباء للعباد لتقوم عليهم الحجة، وقد وعد الله بتحقيق كل الأنباء التي أخبر بها رسوله فقال تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ لكل خبر حقيقة، أي لكل شيء وقت يقع فيه من غير تقدم وتأخر[1].

وكما قال سبحانه وتعالى ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨].

ماذا بعد هذه الحجة؟

أتاك الحق ممتطيا جوادا، يقول أنا البياض؛ فهل لمحت معي سوادا؟

❊ ❊ ❊

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٤/ ٣٠٩).

10

الحجة العاشرة
تلاوة الرسل وأتباعهم لآيات الله

سبق أن علمت أن آيات القرآن الكريم حجة على العباد[1] لما تحويه من إعجاز يحملك لتصديقها والعمل بمقتضاها، إلا أن تلاوة تلك الآيات حجة أخرى؛ لأن النفس تتأثر بالتلاوة الـمُخْلِصَة؛ لما تحس فيها من الصدق ونداء الحق، فتكون الحجة الجديدة مُخَلِّصَةً للنفسِ مما قد يشوبها، فتعود لها الفطرة النقية التى فطرها الله عليها، فيسهل على النفس الانقياد لأمر الله .

فمن أقبل على تلك التلاوة، فقد وجد رحمة الله، ومن أعرض عن التلاوة فقد قامت عليه الحجة ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ **يَتْلُونَ** عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١]

ولذلك أمر الله ﷻ رسولهﷺ بالتلاوة على العباد لتقوم عليهم هذه الحجة الجديدة، فقال تعالى: ﴿**اتْلُ** مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾[العنكبوت: ٤٥].

وقد جعل الله ﷻ تلاوة الآيات شرطا من شروط إبلاغ رسالة الله لعباده وذلك لقوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا **يَتْلُو** عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [القصص: ٥٩].

وقد تكون التلاوة من النبي أو ممن ينوب عنه من أصحابه وأتباعه كما في قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١].

(١) انظر (ص ٣٥).

والتلاوة التى تقوم بها الحجة الكاملة، هى التى يتلوها المؤمن الذى قد كَمُلَ إيمانه، وعمل بمقتضى تلك الآيات، حتى صار بايمانه وعمله من جند الله ورسله الذين ينطقون بكلام الله ويبلغونه للعباد. وقد كان النبى محمد ﷺ خير من يتصف بذلك الوصف، فكان قرآنا يمشى على الأرض، ولذلك كانت في تلاوته الأثر.

تأمل حال عتبة بن ربيعة حينما ذهب إلى النبي ﷺ ممثلا لقريش يريد أن يقنعه بترك الدين الجديد الذي يدعوهم إليه، فبعد أن انتهى من كلامه قال له النبي ﷺ: «**أقد فرغت يا أبا الوليد؟** " قال: نعم، قال فاسمع مني، قال: أفعل، فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**حم** (١) **تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** (٢)﴾ [فصلت:١-٢] ثم مضى رسول الله ﷺ فيها، يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت له، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما، يسمع منه. فرجع عتبة إلى قريش معرضا عن رأيه الأول، وقال لقريش: والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، ثم قال: ياقريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم[1].

وهكذا كانت تلاوة النبي المخلصة الصادقة تجذب الأسماع، وتصل إلى القلوب، وربما لو سمع عتبه تلاوة غير صادقة من شخص آخر لنفس السورة ما كان ليتأثر هذا التأثر.

ثم انظر لما قامت الحجة على عتبة، فأعرض عنها، كيف كان العقاب أليما، إذ كان أول من حصدتهم سيوف جند الله في المبارزة يوم بدر، الذى هو يوم الفرقان[2].

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣٠٠٢) وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٠) ومسلم (١٠٨-١٧٩٤).

ألا تخاف أن ينالك عذاب من الله إن أنت أعرضت عن الانقياد لما يتلى عليك من الآيات؟!

تأمل تلاوة جعفر بن أبي طالب القرآن على النجاشي حيث (بَكَى والله النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلا عَلَيْهِمْ)

ثم قال لهم النجاشي: «إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ»[1].

فتلاوة القرآن من أصحاب محمد تشبه تلاوة المسيح أو الحواريين للإنجيل وهما يخرجان من مشكاة واحدة أي أن لهما نورا ينفذ إلى القلوب لتعي كلام الله ﷻ.

وعلى هذا النحو تقع المهمة على عاتق أتباع النبي ﷺ إلى يوم القيامة بالتلاوة المخلصة على الناس، ولا يكون الإخلاص إلا باتباع نهج النبى ﷺ ومن بعده من العلماء الربانيين المجاهدين لإبلاغ دين الله للعباد. حينها تخرج التلاوة من فم القارىء وكأنه يريد إيصال رسالة الله تعالى للعباد، فيسمعوها وقد خرجت من قلب قد نضج إيمانا بتلك الرسالة وما فيها من الحق.

والتلاوة هي من الله ابتداءً كما قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨]

فالله ﷻ قد تلا القرآن على جبريل، وقد تلا جبريل القرآن، وكذلك تلته الملائكة كما قال تعالى: ﴿**فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا**﴾ [الصافات:٣]

ثم إن جبريل تلا القرآن على النبي ﷺ، والنبي تلاه على أصحابه.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٤٠) وقال محققوه: إسناده حسن.

وهكذا فمن تلا القرآن استحضر هذا المعنى العظيم وأدرك المهمة الملقاة على عاتقه وأنه ناطق بكلام الله ﷻ ليسمعه الناس، لتقام عليهم الحجة.

ماذا بعد هذه الحجة؟

سمعنا القرآن يتلى علينا فهل تأثرت القلوب؟

وهل كان ذلك دافعا للعمل الصالح؟



الحجة الحادية عشر 11

تذكير الرسل وأتباعهم للعباد ونصحهم لهم

أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يذكر العباد بالله واليوم الآخر، وأن يذكرهم بما ينفعهم وبما يضرهم، وذلك لإقامة الحجة عليهم؛ لأن النفس تنسى وتشتغل بهموم الحياة، فيكون التذكير ترسيخا وتثبيتا للمقصود من عبودية الله، وقد أمر الله رسوله بتكرار الموعظة والتذكير مرة تلو الأخرى، حتى تستقيم النفوس على الحق.

تأمل كيف قام رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بهذه المهمة بحكمة.

وتأمل إخبار أصحابه عن ذلك فقالوا:

«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»[1].

ثم استمع لقول الله : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٤]

﴿وَذَكِّرْ﴾ أي بالعظة (فإن) العظة (تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ).

قال قتادة: (وَذَكِّرْ) بالقرآن (فَإِنَّ الذِّكْرَى) به (تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ).

وقيل: ذكرهم بالعقوبة وأيام الله . وخص المؤمنين؛ لأنهم المنتفعون بها[2].

ثم تدبر كيف شرع الله الخطبة لتذكير الناس في صلاة الجمعة والعيدين والخسوف والكسوف وصلاة الاستسقاء وعند عقد النكاح وفي الحج وعند رؤية هلال رمضان،

---

(١)أخرجه البخاري من حديث بن مسعود ﷺ (٦٨) ومسلم (٨٢-٢٨٢١)

(٢) تفسير القرطبي (٩/ ٣١٣).

حتى تكون التذكرة للعباد متكررة دوما وحتى تكون الحجة قائمة عليهم لا تنقطع أبدا.

ماذا بعد هذه الحجة؟

كم من مرة ذُكِّرْنَا؟

فهل عن هوانا انتهينا؟

وهل لطريق الفلاح سلكنا؟

❊ ❊ ❊

12

الحجة الثانية عشر
تعليم الرسل وأتباعهم للعباد

مكث رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ثلاثًة وعشرين عامًا يُعلم أمته كل شيء، حتى الطهارة والإستنجاء، فكان هذا التعليم حجة على العباد، إذ به تزكو النفوس وتنجو من براثن[1] الشياطين والغي والهوى، لترى النور الذي يقودها إلى أفراح الجنة وإلى رب العالمين.

هل استوعبت منّة الله تعالى في قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

وهل علمت أن المقصود بـ (**الْكِتَابَ**) القرآن، وأن المقصود بـ (**الْحِكْمَةَ**) المعرفة بالدين، والفقه في التأويل، والفهم الذي هو سجية ونور من الله تعالى. قاله الإمام مالك رحمه الله تعالى. وقال ابن زيد، وقتادة: (**الْحِكْمَةَ**) السنة وبيان الشرائع[2].

ماذا بعد هذه الحجة؟

أرسل الله ﷻ إلينا رسولا كريما ليعلمنا. فكم من هذا التعليم أحرزنا...؟

وجعل أتباعه مصابيحَ للعلم والهدى. فكم من أنوارهم اقتبسنا...؟

***

---

(١) مخالب.

(٢) «تفسير القرطبي» (١/ ٤٦١).

13 الحجة الثالثة عشر

التبليـــغ

وتبليغ كل ما سبق ذكره للعباد كافة لهو اللازم الأهم حتى تكتمل حجة الله على عباده.

وتقوم حجة الله ﷻ على من وصلته الرسالة الواضحة التي جاء بها الرسول- صلى الله عليه وسلم- لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الإسراء: ١٥]

فالحجة هنا على من بلغته الرسالة وأما من لم تبلغه الرسالة فأمره إلى الله .. وهذا من رحمة الله وعدله في حكمه.

والتبليغ مهمة الرسل في المقام الأول ثم مهمة أتباعهم في المقام الثاني كما قال الله في حق رسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]

وكما قال تعالى في حق رسوله ﷺ وأتباعه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]

ويوم القيامة سوف يسأل الله ﷻ الرسل عن مهمتهم كما قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:٦]

انظر في سيرة رسول الله ﷺ من أولها لتدرك جهده في تبليغ دين الله حتى تصل إلى نهاية السيرة في قوله في حجة الوداع «...أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: « اللهمَّ اشْهَدْ، **فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ** الغَائِبَ...»[1].

(١) أخرجه البخاري (١٧٤١) ومسلم (٣٠- ١٦٧٩).

لقد أدركت الحق وشهدته...

فهل عملت به...؟

وهل بلغت منه شيئا...؟

اعلم أنها مسئولية ملقاة على عاتق علماء الأمة، وكل من له قسط من العلم، أو عنده علم آية من كتاب الله، وذلك بالعمل بمقتضى رسالة الحق التي بلغته، وإبلاغ الرسالة للآخرين، وسوف ينتظر كل من أتاه الله علما حكم الله يوم القيامة ليسأله هل عمل بالعلم الذي بلغه؟ وعن دوره في تبليغ رسالة الحق؟

ماذا بعد هذه الحجة؟

بلغتنا الرسالة..!!

وعلمنا بالإنذار..!!

ففيم الانتظار..؟



14

الحجة الرابعة عشر
اللين في إبلاغ رسالة الله ﷻ

اعلم أن مخاطبة الرسل – عليهم السلام – للناس برحمة ولين، فيه حجة جديدة تكتمل بها حجة الإبلاغ.

استمع لقول الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٨]

انظر فيما أَلان الله ﷻ به قلبه على أمته أي: بأي شيء جعلك الله لهم لينًا لولا رحمة الله بك وبهم.

ثم تدبر قوله تعالى: ﴿ولو كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] أي: لو كنت شديد اللهجة قاسي القلب عليهم (لَانْفَضُّوا) عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم، كما قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: إني أرى صفة رسول الله ﷺ فِي التَّوْرَاةِ: «لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»(١).

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٨) وانظر «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٥١).

وعلى ذلك يجب على كل من يقوم بإبلاغ رسالة الله ﷻ لعباده أن يتصف بهذا الخلق الكريم حتى يتحقق المقصود من إقامة الحجة بتمام التبليغ لرسالة الله تعالى على الوجه الأكمل.

ماذا بعد هذه الحجة؟

أعرض المفرطون عن النهي فاجترحوا الذنوب والسيئات..!!

وفرط الطائعون في الأمر فلم يقدروا قدر رب الأرض والسماوات..!!

فأمر الله رسله وأولياءه بأن يعاتبوهم بأرق الكلمات..!!

❊ ❊ ❊

15

الحجة الخامسة عشر
أولـــو العلـــم

جعل الله ﷻ مع كل نبي أصحابا يحملون العلم ويبلغونه إلى من بعدهم فيكونون بعد وفاة الأنبياء حجة على من بعدهم، إذ أنهم حاملون لنفس الرسالات السماوية وداعون إليها ومتصفون بأخلاق النبوة، ويكونون بذلك قد ارتقوا لأجلِّ مقام. إنهم بمقامهم هذا ورثة للأنبياء.

أنصت بقلبك لما يلى من كلام النبوة، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ الله بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[1]

ثم اعلم بعد ذلك أن «العلماء أمناء الله على خلقه»[2].

وهذا شرف للعلماء عظيم، ومحل لهم في الدين خطير.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وصححه الألباني في صحيح السنن.

(٢) أخرجه ابن الأعرابي في «معجمه» (٥٦/ ٢).

هل أدركت أن أخلاق وأفعال العلماء الربانيين الثقات الذين أجمع المسلمون على مكانتهم حجة على العباد؟ يقتدى بأفعالهم ويهتدى بهم، كما أن استنباطهم من الكتاب والسنة حجة؟

تأمل أيضا قول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ الله خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠]

ألا تدرك في هذه الآية منزلة الذين أوتوا العلم حيث يقومون مقام الرسل فيحذرون غيرهم ويقولون كلمة الحق[1].

قال ابن جرير: ﴿وَلا يُلَقَّاهَا﴾ أي: ولا يوفَّق لقول هذه الكلمة وهي قوله تعالى: (ثَوَابُ الله خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) (إِلَّا الصَّابِرُونَ) وهم العلماء الذين صبروا على زينة الحياة الدنيا وآثروا ما عند الله فجدوا في طاعته، وهم العالمون على الحقيقة[2].

ماذا بعد هذه الحجة؟

أخبرنا الله بفضل العلماء الربانيين، وأمرنا باتباع آثارهم.

فهل بحثنا عنهم؟ وعرفناهم؟ وميزناهم بوصف الله لهم؟

وهل شاهدنا فيهم اتباع نهج الأنبياء، من الاجتهاد في العبادة، ومكارم الأخلاق فتأثرنا بذلك؟

❊ ❊ ❊

(١) ﴿يَرْفَعِ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)﴾ المجادلة.

(٢) «تفسير الطبري» بتصرف يسير (٢٠/ ٧٤).

16

الحجة السادسة عشر

التنزيل لكلام الله ﷻ

إن الكيفية التي وصل بها كلام الله ﷻ إلينا حجة علينا.

انظر كيف نزل الكلام الإلهي مع ملك كريم ذي خلق مهيب، يقطع المسافات بين السماء والأرض حاملا رسالة الله إلى الناس.

إن هذه الكيفية لها مغزى يجب التنبه له.

إن الواحد من الملائكة ذو شأن عظيم. انظر كيف تم إهلاك قوم ثمود بصيحة واحدة من ملك واحد من الملائكة!!

إن سورة الأنعام شيعها سبعون ألف ملك ليلا، لهم زجل بالتسبيح والتحميد[1].

إن هذا التنزيل المهيب مع آلاف الملائكة يشعر بمدى عظم هذا الكلام الإلهي وأهمية الرسالة المرسلة للناس.

إذ كيف لمن يعلم بوصول رسالة إليه من السماء تحملها وتحفها الملائكة في موكب عظيم مثل هذا ثم لا يهتم بقراءتها ومعرفة فحواها؟

أليست هذه حجة قد أقامها الله على العباد؟

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٥) وقال: صحيح على شرط مسلم.

وقد تكرر ذكر كلمة التنزيل لكلام الله (ومشتقاتها وإسنادها للضمائر) في القرآن مائة واثنين وخمسين مرة وكان التكرار للمشتقات والتنوع للإسناد للضمائر على اثنين وعشرين وجها[1].

وهذا التكرار له فائدة هامة وهي تذكير العباد مكررًا بأن هذا الكلام قدره عظيم، وقد نزل نزولا مهيبًا من السماء ليخاطب العبد الذي سوف تصدر في حقه الأحكام. وهو من عند الله وليس من عند الرسل.

ولو أن الله تعالى أخبر رسوله– صلى الله عليه وسلم- بموضع في الأرض يجد فيه كتاب الله ليبلغه للناس لما كان هناك هذا المعنى المقصود من لفظ التنزيل. ولكن شاء الله أن تصلنا رسالته منزلة منه هذا التنزيل المهيب لتتأكد حجة الله على عباده بأن جعل لهم قدرا، فجعل بينه وبينهم رسالة، وخاطبهم فيها، وأشعرهم بعظم تلك الرسالة المنزلة بهذه الكيفية.

وبعد وفاة رسول الله ﷺ انتهى هذا التنزيل العظيم، فقام أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب- رضي الله عنهما- يزوران أم أيمن حاضنة رسول الله كما كان رسول الله يزورها، فوجداها تبكي، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ الله خَيْرٌ لِرَسُولِهِ؟ فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ الله خَيْرٌ لِرَسُولِهِ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ. فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا»[2].

انظر كيف ارتبط قلبها بالوحي المنزل من السماء فانفطر قلبها لما علمت أن ذلك الوحي لن ينزل مرة أخرى.

---

(١) راجع ملحق (١).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أَنَسٍ رضي الله عنه (١٠٣- ٢٤٥٤) .

فبذلك كانت أم أيمن تسمع كلام الله من النبي كما نسمعه نحن، لكنها لم تكن غافلة عن لفظ التنزيل.

ماذا بعد هذه الحجة؟

هل وصلتنا رسالة أقوى من رسالة الله التي نزلت إلينا من مسافة لا يعلم قدرها إلا الله ؟

هل وصلتنا رسالة محمولة عن طريق وسطاء وسفراء أقوى وأكرم من الملائكة الكرام البررة الذين يحملون رسالة الله للعباد؟

فإذا كانت رسالة الله قد وصلت إلينا بهذه القوة، واهتم الملائكة الأقوياء كل الاهتمام بإيصالها في المكان والموعد المحدد..!

فما حجتنا يوم القيامة إذا سألنا الله : لماذا حازت رسائل المخلوقين على اهتمامنا وتركنا رسالة ربنا؟

رسالة جاءتك مع الروح الأمين.!

نزلت نزولا مهيبا، فهل تستبين؟

أرسلها الرحمن إلى من أصله من طين.!

أتستحي وتقرأ الرسالة.!

أم تكون من الظالمين؟

❊ ❊ ❊

17

الحجة السابعة عشر
الترتيل لكلام الله ﷻ

والترتيل حجة من الله ﷻ على عباده كما أمر بذلك نبيه – صلى الله عليه وسلم– فقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

اعلم أن قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ﴾ أي: اقرأه بتمهل وتبيين للحروف[1].

تأمل كيف أن الله أمر نبيه بقراءة القرآن بتمهل وتبيين للحروف حتى يصل كلام الله إلينا واضحا لا لبس فيه. وعلى ذلك يمتنع أن يأتي أحد يوم القيامة يعتذر بأنه لم يفهم الكلام أو أن مخارج الحروف قد التبست عليه.

ماذا بعد هذه الحجة؟

هل سنعتذر إلى الله ﷻ بأن كلامه وصل إلينا غير واضح لمخارج الحروف؟

هل سنعتذر إلى الله بأن الكلمات في القرآن التبست علينا؛ لأن الترتيل لم يكن واضحًا؟

لقد تكفل الله بحفظ كلامه، وزادت الحجة علينا في زمننا هذا بتيسير سماع الترتيل الصحيح لأكثر من قارئ في كل البلاد ولكل أحد وفي أي وقت نشاء من ليل أو نهار، وذلك عبر الإذاعات وأجهزة التسجيل المسموعة، وكذلك رؤية حركات الشفاة للقارئ المتقن للقراءة عبر الإذاعات وأجهزة التسجيل المرئية.

فهل سنلقى باللائمة على زماننا؟ أم أن الزمان هو أيضا حجة علينا؟

❊ ❊ ❊

(١) كلمات القرآن تفسير وبيان (ص٣٦٠)

18

الحجة الثامنة عشر
التيسير لكلام الله ﷻ

جعل الله ﷻ كلامه المنزّل إلى عباده ميسرًا عليهم حتى لا يكون للعباد عذر في الإعراض عنه محتجين بصعوبة قراءته وفهمه، وبذلك تبطل حجة العباد، وتقوم حجة الله على العباد.

هل تدبرت مرة قول الله : ﴿وَلَقَدْ **يَسَّرْنَا** القرآن لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧]

وهل علمت أن المقصود من الآية، أي سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراده[1].

قال ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْلَا أَنَّ الله يَسَّرَهُ عَلَى لِسَانِ الْآدَمِيِّينَ، مَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامِ الله .

وقال مجاهد: ﴿وَلَقَدْ **يَسَّرْنَا** القرآن لِلذِّكْرِ﴾ يعني: هَوّنّا قراءته.

وقال السُّدِّي: يسرنا تلاوته على الألسن.

وهكذا أقام الله عليك الحجة بأن جعلك تستطيع أن تتكلم بكلام الله . فلماذا تفضل كلام غيره؟

اقرأ الآية الآتية: **﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ الله﴾** [النحل: ٥٣]

هل تجد مشقة في تحصيل معناها؟

إنها سهلة الألفاظ، مليئة بالمعاني، تفتح بابا للعقل للتفكر في النعم، وذلك لكل العباد.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٣٩).

أما ترى أن غيرها من الآيات وإن لم تكن سهلة عليك، فقد يسرها الله للعلماء.

فهل طرقت بابهم وقرأت تفاسيرهم؟ لتعلم ما استشكل عليك.

اعلم أنك إذا طرقت باب العلماء فسيكون القرآن كله ميسرًا عليك.

فما العذر إذن؟

ماذا بعد هذه الحجة؟

لقد أباح الله لنا الكلام في أمور الدين والدنيا في غير معصية.

ثم بين لنا أن كلامه أفضل الكلام، وبه تزكو النفوس وتسمو، وعليه يكون الأجر والعطاء..ثم يسره لنا، فما حجتنا في الإعراض عنه؟



الحجة التاسعة عشر 19

البيـــان

أقام الله ﷻ الحجة على العباد ببيان وإيضاح كل ما يحتاجون إليه في سبل العبادة لربهم، فلم يترك هذا البيان عذرا لأحد يعتذر به..

قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ **تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ** وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل٨٩]

قال ابن مسعود ﷺ: قَدْ بَيَّنَ لَنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ كُلَّ عِلْمٍ وَكُلَّ شَيْءٍ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: كُلُّ حَلَالٍ وكل حرام.

وَقَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ يدلك على اشتمال القرآن عَلَى كُلِّ عِلْمٍ نَافِعٍ مِنْ خَبَرِ ما سبق وعلم ما سيأتي، وكل حَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَمَا النَّاسُ إِلَيْهِ مُحْتَاجُونَ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ(١).

ومن أهم ما بينه الله ﷻ للناس فيما يحتاجون إليه في عبادتهم لربهم هو ما يختص بالعقيدة التي بها قوام دينهم، فدلهم في الكتاب والسنة على إثبات وجود الله ووحدانيته وأسمائه وصفاته، وعلى حقيقة الإيمان والكفر والشرك، وعلى أدلة إمكانية البعث والنشور كالدعوة للتأمل في إحياء الأجساد بعد موتها، وغيرها من الأدلة التي استفاض العلماء في مزيد بيان لها.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٩٤) بتصرف.

ماذا بعد هذه الحجة؟

هل سنعتذر إلى الله تعالى بأن الحق والباطل قد التبس علينا كما اعتذر بنو إسرائيل بأن البقر تشابه عليهم؟

إن الله ﷻ قد حفظ القرآن والسنة من التغيير، وجعل السبيل لمزيد البيان منهما يسير، وجعل أهل الذكر في كل زمان كالمصباح المنير.

فهل كل ما استبان لنا من كتاب الله حفظناه؟

وهل لما تميز سبيل الرشد من الغي اتخذناه؟

وهل لما التبس علينا الأمر بحثنا عن العالم الرباني فسألناه؟



20 الحجة العشرون
التفصيل لآيات الله التنزيلية والتكوينية[1]

أعذر الله ﷻ إلى عباده حينما فصل إليهم آياته التنزيلية والتكوينية حتى تتضح سبل الهداية لديهم، فجاء تفصيل الله للآيات حتى تنشط الأذهان وتلتقط المزيد من أسرار القرآن.

فكان التفصيل من الله للآيات التنزيلية حجة على العباد حيث يتفكرون في تفصيل ربهم للآيات فتستبين المعانى الخافيات.

ولفظ التفصيل قد يوافق معنى البيان، وقد ينفرد بدلالة خاصة.

فأما توافق لفظ التفصيل مع لفظ البيان ففى كون اشتراك اللفظين في معنى واحد وهو أنهما ضد الإجمال الذى يحتاج إلى الاتضاح والانكشاف.

و أما انفراد التفصيل دون البيان بدلالة خاصة، فيمكن إيضاحه كما يلي:

أولًا: أن التفصيل قد وردت نسبته في القرآن لله وحده فقط.

فعند دراسة كل الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ التفصيل، نجده منسوبا إلى الله لا لغيره. أما البيان فقد نسبه الله لنفسه أو نسبه إلى رسله كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا **لِتُبَيِّنَ** لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]

أو استعمل من يشاء من خلقه كما قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا **وَبَيَّنُوا**﴾ [البقرة: ١٦٠]

---

(١) الآيات إما تنزيلية وإما تكوينية- فتح القدير (٢/ ٥٢٥).

ثانيًا: أن التفصيل انفرد بالاقتران بأسماء الله الحسنى (الحكيم) و(الخبير) كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ **فُصِّلَتْ** مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]

ثالثًا: أن التفصيل وصف لكتاب الله كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ **مُفَصَّلًا**﴾ [الأنعام: ١١٤] في حين أن كتاب الله المفصل يشتمل في تأويله وتفسيره على البيان، فيزيل من أوتى البيان ظلمة الجهل ليحل محلها نور العلم والبيان.

ولتقريب المعنى ما ورد في وصف الشمس كما فى قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾ [النَّبَإِ: ١٣] وأنها في نفس الوقت تضيء كل ما حولها.

فكون الشمس سراجا وهاجا فهذا حالها وكنهها إذا نظرت إليها، ثم تخرج منها الأشعة لتصل إلى كل مكان فيعكس المكان النور على قدر ما يحويه من معدن لامع مصقول.

رابعًا: أن التفصيل ورد مقدما على البيان في قوله تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ **نُفَصِّلُ** الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥]

فاشتملت الآية على التفصيل من الله في قوله تعالى (نُفَصِّلُ الْآيَاتِ) وعلى البيان من الله في قوله تعالى (وَلِتَسْتَبِينَ) أي يحصل البيان والاتضاح لكل عقل نابه مصقول.

فالتقدير مثلا: وكذلك نفصل الآيات لعلتين:

الأولى: لتعلم بتفصيلها كنهها.

الثانية: ﴿**وَلِتَسْتَبِينَ** سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾

والمعنى الأول محذوف من الآية، ففي الكلام إيجاز الحذف[1] وقد يكون التفصيل من الله تعالى في الآية للرسول ﷺ حتى يحدث له بتفصيل الآيات البيان لسبيل المجرمين، وذلك على قراءة نافع وأبي جعفر لقراءتهم (سَبِيْلَ) بفتح اللام.

أو يكون التفصيل من الله لتتضح سبيل المجرمين للرسول وللمؤمنين (لمن قرأ "سبيلُ" برفع اللام كما في قراءة ابن عامر وابن كثير وأبي عمرو وحفص)[2]

وتفصيل الله للآيات يحدث معه العلم الذي يجعل الصورة تتضح وتظهر أسرارها للعقل النابه المصقول فتستبين بذلك لقوم يعلمون أو يعقلون أو يفقهون أو يتفكرون أو يذكرون كما ورد في الآيات الكريمة:

﴿قَدْ **فَصَّلْنَا** الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]

﴿قَدْ **فَصَّلْنَا** الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٨]

﴿قَدْ **فَصَّلْنَا** الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٦]

﴿كَذَلِكَ **نُفَصِّلُ** الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]

﴿كَذَلِكَ **نُفَصِّلُ** الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨]

وهذا مما جعل النبي ﷺ (يستبين سبيل المجرمين)؛ لأنه من أوفر العباد نصيبًا من العلم والعقل والفقه، ثم بعد ذلك يبين الرسول لأمته ما خفي عليهم من تفصيل ربهم ثم يأتي العلماء بعد ذلك ليبينوا للناس، وهكذا يبين كل من له قدر من العقل والفكر والعلم لمن دونه المقصود من تفصيل الله للآيات.

---

(١) «التحرير والتنوير» بتصرف (٧/ ٢٦١).

(٢) «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٥٨).

وقد قال الْحَسَنُ البَصرِيُّ: «أَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ مِائَةً وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ مِنَ السَّمَاءِ أَوْدَعَ عُلُومَهَا أَرْبَعَةً مِنْهَا: التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْفُرْقَانَ، ثُمَّ أَوْدَعَ عُلُومَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ الْفُرْقَانِ، ثُمَّ أَوْدَعَ عُلُومَ الْقُرْآنِ الْمُفَصَّلَ، ثُمَّ أَوْدَعَ عُلُومَ الْمُفَصَّلِ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ فَمَنْ عَلِمَ تَفْسِيرَهَا كَانَ كَمَنْ عَلِمَ تَفْسِيرَ جَمِيعِ كُتُبِ الله الْمُنَزَّلَةِ»[1].

قال ابن تيمية : وجمع الله معانى الفاتحة، في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2].

مما سبق عليك أن تتأمل تفصيل الله للآيات التنزيلية كما يلي:

تأمل كيف فصل الله من آية واحدة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ القرآن كله، ثم فصل الله آيات القرآن حتى مائة وأربعة كتاب، ثم إلى ما شاء الله من كلماته كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] هذا فيما يختص بتفصيل الله للآيات التنزيلية.

أما تفصيل الله للآيات التكوينية فمذكور في أكثر من آية في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ الله ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥]

فالآيات إما تكوينية أو تنزيلية، وتدخل الآيات التكوينية المذكورة في هذه الآية دخولا أوليا[3].

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢١٥٥).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٩٥).

(٣) «فتح القدير» للشوكاني (٢/ ٤٢٥).

وتفصيل الله للآيات التكوينية يمكن ملاحظته في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ **كَانَتَا رَتْقًا** فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَعَطَاءٌ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ: يَعْنِي أَنَّهَا كَانَتْ شَيْئًا وَاحِدًا مُلْتَزِقَتَيْنِ فَفَصَلَ الله بَيْنَهُمَا بِالْهَوَاءِ[1].

مما سبق عليك أن تتأمل تفصيل الله للآيات التكوينية كما يلي:

- من الشيء الواحد المجمل ﴿ **كَانَتَا رَتْقًا** ﴾ فَصَّلَ الله كل ما نراه من كواكب ونجوم منتظمة في تفصيل بديع. هذا فيما يختص بتفصيل الجمادات.

- ومن (الماء) الذى هو شيء واحد (مجمل) خلق الله الأحياء من حيوان ونبات وما فيهما من أعضاء وأجزاء منتظمة في تفصيل بديع، ثم إن كل شيء من هذه الكائنات الحية بداخلها تفصيل آخر... وهكذا.

انظر كيف أخرج الله لك من الشيء الواحد المجمل تفصيلا بديعا لكل شيء من الآيات التنزيلية والآيات التكوينية.

فما حجة من أعرض عن كل هذا؟

ماذا بعد هذه الحجة؟

هل سعينا لنعلم ما في كتاب الله من تفصيل للآيات التنزيلية؟

وهل سعينا لنعلم ما في ملكوت الله من تفصيل للآيات التكوينية؟

وإذا كنا قد علمنا فماذا عملنا بهذا العلم؟

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة *** وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم!!

---

(١) «تفسير القرطبي» (٧/ ١٥).

الحجة الحادية والعشرون 21

التصريف لكلام الله عَزَّ وَجَلَّ

أقام الله عَزَّ وَجَلَّ الحجة على عباده بتصريف آياته، أي بتكرارها بأساليب مختلفة، لعل من لم يتنبه إلى الآية من زاوية واحدة، قد يوقظه تدبره لنفس الآية من زاوية ثانية، أو ثالثة، أو توقظه آية أخرى تحمل نفس الموعظة بأسلوب مختلف.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ﴾

أي أن الله تعالى يكرر لعباده الآيات بأساليب مختلفة منها الموعظة، وبيان الفائدة أو الضرر أو الثواب أو العقاب أو مدح الطائعين أو ذم المخالفين، أو غير ذلك. تأمل الآيات التى ورد فيها لفظ التصريف لتجد أن السياق القرآني يدل القارئ على مواضع الهداية في سياق متصل ثم يأخذ السياق منحى آخر ليصرف القارئ إلى معنى جديد قد لاينتبه إليه في نفس الآية أو في آية أخرى، فتنشط لأجل ذلك العقول النابهة وتظل على نشاطها لتلتقط باقي المعاني الخافية.

ومثال ذلك تذكير الله عباده بمنحهم نعم السمع والأبصار والأفئدة بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون:٧٨]

فكر في منح الله لك النعم المحسوسة ﴿السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ وكذلك النعمة المعنوية ﴿ الْأَفْئِدَةَ ﴾ لعل ذلك أن يسوقك إلى الشكر.

فإن لم يستيقظ فؤادك للشكر المرجو، فانظر إلى تصريف مختلف من التذكير بنفس النعم في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ الله سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى

قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ الله يَأْتِيكُمْ بِهِ **انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ** ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦].

انظر كيف تسوق هذه الآية التذكير بنعم الله علينا ولكن بصورة مختلفة، فالتذكير هنا بالدعوة للتفكر فيم سيكون الحال لو أن الله تعالى سلب هذه النعم.

فأخذ النعم المحسوسة (السمع والبصر) مصيبة، والله قادر على أن يجعلنا صمًا عميًا، فهل تصورنا ذلك ووعيناه؟.

ثم أمعن النظر إلى تصريف جديد حيث يدلك السياق القرآني على مصيبة أعظم من ذلك في قدرة الله على سلب النعمة المعنوية في قوله ﷻ ﴿وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ أى الحرمان من الهداية ومعرفة طريق الحق.

تفكر في كل مصيبة على حدة، ثم قارن بين حالتى السلب ليتبين لك أى النعم أعظم.

فكم من أعمى وأصم وهو يحيا حياة هنيئة بمعرفته وصلته ومناجاته لله فهو بذلك سعيد في الدنيا والآخرة، وكم من سليم السمع والبصر مختوم على قلبه نكد العيش في الدنيا والآخرة.

هل تبين لك قدر نعمة الأفئدة التى بها تنعم النفس بمعرفة الله ومناجاته؟

انظر كيف يصرف الله الآيات ويذكرنا بالنعم بتصريف جميل يدعو للتأمل.

عليك بعد ذلك أن تتأمل نفس سورة الأنعام لتجد تصريفا آخر لهذه النعم (السمع والأبصار والأفئدة) بأسوب جديد في قوله تعالى:

﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ * قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ * **وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ** وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٠٥]

تأمل هذه الآية وما ورد فيها..

أولًا: انظر إلى ذكر الأبصار الحسية في قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أى أن هذه الأبصار الحسية لن ترى الله في الدنيا ولم تخلق لذلك، ولكن جعلها الله لترى مخلوقاته وتعتبر بآياته ليكون الاعتبار بصيرة بالقلب.

ثانيًا: لاحظ ذكر الأبصار المعنوية وهى البصيرة بالأفئدة في قوله تعالى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ﴾ فمن اعتبر وتفكر وأخلص النية فقد أدرك مراد الله، وهو المبصر على الحقيقة (أَبْصَرَ) وأما من لم يعتبر (عَمِيَ) فهو الأعمى على الحقيقة.

ولفظي (أبصر) و(عمي) يصلحان للإبصار والعمى الحسي بالعين، وفي نفس الوقت يصلحان للإبصار والعمى المعنوي بالأفئدة.

فاشتملت بذلك الآيات على ذكر الأبصار الحسية بالعين، ثم البصائر المعنوية بالأفئدة، ثم ما يصلح لكلا المعنيين.

لاحظ عدم ذكر السمع في هذه الآية، ثم تذكر أن من (أَبْصَرَ) أو (عَمِيَ) معنويا بالأفئدة يشمل ما يرد على القلب من سمع وبصر وغيره ليحدث الأثر والبصيرة في القلب.

انظر كيف يقلب الله الآيات ويصرفها!!

لا تبرح سورة الأنعام بل تأمل أيضا تصريفا جديدا لنعمة الأفئدة في قوله تعالى:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ **انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ** لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام:٦٥]

وهنا استمرار للتذكير بقدرة الله على سلب النعم، ففيما سبق من الآيات تفكرت في فؤادك وما قد يصيبه. لكن الآن فكر فيما حولك من الأفئدة أيضًا وعلاقتها بك.

فتبدأ هذه الآية بالتذكير بقدرة الله على أن يبعث علينا عذابًا من فوقنا؛ لأنه يملك السماء وما فيها من أسباب قد ترسله علينا عذابًا، وهو القادر على أن يرسل علينا عذابا من تحت أرجلنا أيضا؛ لأنه سبحانه يملك الأرض وما عليها وما يمكن أن تفعله بنا.

ثم انظر كيف ينصرف السياق إلى المعنى الذى يربطنا بالنعمة سالفة الذكر (**الْأَفْئِدَةَ**، ضمنا وليس تصريحا) حيث يذكرنا الله بامتلاكه أيضا لقلوب العباد، وهو سبحانه قادر على أن يجعل الأفئدة ساكنة وفيها مودة ورحمة بينك وبين من حولك أو يقلبها غضبا وحربا.

انظر كيف يصرف الله الآيات!!

ماذا بعد هذه الحجة؟

أتاك الحق من كل وجه وجانب، كم منه كان لحجاب فؤادك ثاقب؟



22 الحجة الثانية والعشرون

ضـــرب الأمثـــال

والدليل على أن ضرب الأمثال حجة من الله ﷻ على عباده، هو إقامة هذه الحجة يوم القيامة وذلك في قوله ﷻ للظالمين الذين يطلبون الاعتذار:﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ **الْأَمْثَالَ**﴾ [إبراهيم: ٤٥]

وضرب الأمثال هو تقريب المعنى حتى يستقر مراد الله في ذهن آحاد العباد على اختلاف درجات عقولهم.

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ **الْأَمْثَالَ**﴾ أى: وضربنا لكم الأمثال أي في بلاد ثمود ونحوها فهلا اعتبرتم بمساكنهم ، بعد ما تبين لكم ما فعلنا بهم [١].

وقد ضرب الله لعباده الأمثال أنواعا شتى ليقيم حجته عليهم في تبيين كلامه وتيسيره وتوضيحه.

تأمل هذا المثال البديع لتوضيح حال المنافقين وإعراضهم عن نور الهداية بعد معاينته وذلك في قوله تعالى:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ الله بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ *﴾ [البقرة: ١٧-١٨]

(١) تفسير القرطبي (ص ٨٢).

فهذا مثال للنبى العربى ﷺ بمثل من استوقد نارًا في ظلمات الليل بالصحراء الموحشة ليهتدى السائرون بنورها وليفدوا إلى من أوقدها ليجدوا عنده النجاة والدفء والقرى، وقد انتشر النور حول مستوقد النار، فكان شأن المنافقين أن أعرضوا بالرغم مما يرونه من أنوار مستوقد النار للأخذ بأيديهم إلى النجاة (وهذا مثال بديع؛ لأن حال المنافق كذلك فهو على علم ومشاهدة لنور الإيمان فيمن حوله ولا يسلك طريقه).

فلما أعرض المنافقون عن نور الحق واشتروا الضلالة بالهدى كان جزاؤهم أن حرمهم الله من نور القلب فصاروا كمثل الصم البكم العمي، فأصبحوا بحالتهم تلك مستمرين في ظلمات الصحراء الموحشة، وقد منعهم عمى القلب أيضا من أن يرجعوا مرة أخرى إلى مستوقد النار لينالوا من هداه.

وهذا المثال البديع يقرب المعانى إلى الأذهان خاصة وأن البيئة العربية الأصيلة معروفة بمثل هذا النوع من الكرم والشهامة في هداية الحيارى في ظلمات الصحراء وتقديم العون والطعام والماء وكل ما يحتاجه المسافر، ولا يبتغون من وراء ذلك أجرا ولكنها الأخلاق العريقة والمروءة، وبذلك كان تشبيه النبى (العربى) بهذا المثال تشبيها بديعا[1].

---

(١) مشكلات ترجمة معانى القرآن الكريم "بتصرف" (رسالة دكتوراة للدكتور/ صلاح خليل، "ص٢٣٥-٢٣٦".

وقد ورد المثال أيضا للنبى ﷺ بمستوقد النار في الحديث الصحيح، عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا»[1]

ماذا بعد هذه الحجة؟

هل تأملت هذا المثال البديع؟

وهل تأملت حال موسى- عليه السلام- لما رأى نارا في ظلمات الصحراء فتوجه إليها لعله يأتى منها بخبر أو يجد على النار هدى؟

هل علمت الخبر الذى وجده؟

والهدى الذى ناله؟

قام النبى العربى ليستوقد نارا...!!

راجيا الهدى لمن ضلوا الطريق والحيارى

أجره على ربه، لا يرجو درهما ولا دينارا

فهلا طعمت من قراه، وصرت له جارا؟

وللمزيد من ضرب الأمثال (راجع ملحق ٢)

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٣) ومسلم (١٧- (٢٢٨٤).

الحجة الثالثة والعشرون 23

القصـــص

جعل الله القصص حجة على العباد؛ لأن فيها الموعظة بأسلوب تنجذب إليه النفس وتتابع الأحداث، وبذلك تؤتي من الثمار ما لا يؤتي غيرها في الدلالة على طريق الهدى، ولذلك قص الله على عباده قصص الأنبياء مع أقوامهم ليعرف الناس مآل كل منهم فيعتبروا.

قال تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ [يوسف: ١١١].

أي في قصة يوسف ﵇ وأبيه وإخوته أو قصص الأمم "عبرة" أي فكرة وتذكرة وعظة "لأولي الألباب" أي العقول﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾أي ما كان القرآن حديثا يفترى، أو ما كانت هذه القصة حديثا يفترى[١].

ومن تتبع ما قص الله على عباده من أحسن القصص في سورة يوسف وجد فيها ذكر الإيمان والكفر والشرك، والخير والشر والأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين، والرجال والنساء، والأنعام والطير والسباع، والصحراء والمزارع، والشمس والقمر والكواكب، والصحة والمرض، والصدق والكذب، واليأس والأمل، والجد واللعب، وإرادة القتل والطرد، والعهود والمواثيق، والغيرة والقسوة

(١) «تفسير القرطبي» (٥/ ٥٥٠- ٥٥١).

والخوف والبكاء، والجمال والحب والعشق، والدماء الكاذبة والدماء الصادقة، والضياع في الأرض والتمكين فيها.

وكذلك فيها ذكر الوحي، والعصمة والزلل، والأمانة والخيانة، والحيلة والمراودة، والفراق واللقاء، والظلم والسجن، والضيق والفرج، وفيها من المعجزات نطق الرضيع وارتداد البصر، وفيها سير الملوك والمماليك، والتجار والعلماء والجهال، وفيها ذكر التوحيد وعلم الشرائع وعلم القلب والحفظ والفقه واليقين والصبر والدعاء والتوكل، وتعبير الرؤيا، والسياسة والمعاشرة والخطيئة والإحسان والصفح والعفو والاستغفار وتدبير المعاش، وجمل من الفوائد التي تصلح للدين والدنيا.

انظر كيف جمع الله لك كل هذا في قصة واحدة لعلك تعتبر وتتفكر!!

ثم انظر إلى باقي قصص القرآن، وكذلك القصص التي وردت في الأحاديث النبوية الشريفة!!

تفكر في حال من لم يعتبر بشيء مما قصه الله عليه، كم تكون حجة الله عليه يوم القيامة؟

ماذا بعد هذه الحجة؟

قص الله علينا القصص، فهل بما فيها اعتبرنا؟

وشاهدنا فيها عاقبة الإيمان والصبر عليه فهل بهما تحلينا؟

❊ ❊ ❊

24

الحجة الرابعة والعشرون

تودد الله ﷻ للعباد

عرف الله ﷻ نفسه للعباد وهم جاهلون بكل شيء!!!

وتودد إليهم وهو غني عنهم!!!

وتقرب منهم وهو ملك الملوك، وهم لا يملكون شيئا!!!

وليس ذلك إلا لأنه سبحانه وتعالى له صفات الكمال والرحمة، والعباد ينالون من جميل هذه الصفات ما قدر الله لهم أن ينالوه.

تأمل كيف عرف الله ﷻ نفسه لعباده فقال تعالى:

﴿ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

ثم انظر إلى هذا التعريف الموجـز في قوله تعالى:

﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]

وتدبر تعريف الله ﷻ لعباده بأنه منهم قريب في قوله تعالى:﴿وَإِذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعَانِ﴾ ثم تأمل الدعوة لعباده بأن يتقربوا من الله كما تقرب منهم ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة: ١٨٦]

وبعد أن عرف الله تعالى نفسه للعباد في هذه الآيات وغيرها من الآيات والأحاديث النبوية، فتح الله للعباد باب الدخول عليه، بأن شرع لهم الصلاة حيث يستقبل الملك ﷻ من هذا الباب العباد خمس مرات في اليوم والليلة، ومن يتخلف عن الموعد فعليه تقوم الحجة ويكون عرضة للعقاب.

ثم منَّ الله ﷻ على العباد بأن سمح لهم بالدخول عليه بالنوافل من الصلاة بلا حدود، فهو سبحانه لا ينام ولا يمل كما يحدث لملوك الدنيا، بل جعل الباب مفتوحا لعباده على الدوام، ومن دخل من هذا الباب مقبلا على الله تعالى أقبل الله ﷻ عليه، ومن واسع كرمه وجميل لطفه أنه سبحانه ترك للعبد أن يحدد موعد المقابلة، فيقوم العبد فيتطهر ويتجه تجاه المسجد الحرام (وهو أول مسجد وضع في الأرض)[1] فيدخل على الملك فيستمر في المناجاة والمقابلة ما يشاء من ذلك ثم ينهي العبد المقابلة بعد ذلك.

وا عجبًا لهذا العطاء غير المحدود!!

ألم يستوعب العبد كل أو بعض هذا العطاء؟!!

ألا يستحي العبد من فتح أبواب التقرب من ملك الملوك بلا حدود؟

ألا يخشى العبد من كل هذا الإعذار وإقامة الحجة؟

فيا قرة عين من عرف باب الملك، فظل قريبا منه، يتردد عليه، فيكتسي بالنور والنضرة والنعيم، ومن ترك باب الملك فتتقطع نفسه جريا وراء سراب الأماني، حتى إذا تجلت له الحقيقة لم يجد شيئا ووجد الله أمامه ليحاسبه.

---

(١) قوله تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦].

وقد تقرب الله ﷻ من العباد وفتح لهم بابًا آخرا كما ثبت في الصحاح عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَه»[1].

وروى الإمام مسلم من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي قال: «**إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»[2]

فهل هناك حجة لمن لا يتوب؟

وقد أرشد الله العباد إلى أبواب أخرى ينالون بها رحمة الله تعالى والقرب منه، فالصيام يقوي مادة الروح على مادة الجسد، فتسمو روح العبد لتتقرب أكثر من خالق الروح.

و الزكاة والصدقات تخفف من الأوزار فيسير العبد مسرع الخطا إلى مولاه، والحج سفر من عناء الدنيا ولهوها إلى رب البيت الحرام ليزداد الشوق إلى اللقاء الذي ليس بعده عناء.

وأما ذكر الله الذي هو أيسر العبادات ففيه كل القرب والنعيم، فقد ثبت في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ: «يَقُولُ الله تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ

(١) أخرجه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (١١٤٥) ومسلم (١٦٨– ٧٥٨)

(٢) مسلم (٣١– ٢٧٥٩).

فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[1].

أليس في كل ماسبق إقامة الحجة من الله ﷻ على العباد، وذلك بفتح باب التقرب من ملك الملوك؟

فما حجة من أعرض عن كل ذلك أو بعضه؟

ماذا بعد هذه الحجة؟

هذه الحجة من أعظم الحجج على الإنسان إذ أن من أعرض عن كل هذا فلا يلومن إلا نفسه.

إذ كيف يعرفه العظيم بنفسه، فلا يستوعب!!

وكيف يتودد إليه الودود، فلا يهتم!!

وكيف يتقرب منه الرحمن، فيعرض!!

لقد ورد في الحديث الصحيح عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ...»[2]

هل تفكر الإنسان فيما سيكون الحديث يوم القيامة عندما يكون مع ربه وليس هناك أحد معهما؟

هل سيكون الحديث عن ما كان في الدنيا من تعريف الله نفسه وأسمائه وصفاته للإنسان، فهل كان حريصا على هذه المعرفة؟

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢- ٢٦٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٩).

أما يخشى الإنسان أن يذكره ربه بأنه أعلمه بما يزيد الحب بينهما، وهو أداء ما فرضه الله على الإنسان، وأن الاستكثار من النوافل سبيل للزيادة الكبيرة لمحبة الله تعالى للعبد! فماذا فعل العبد فيما عرضه عليه ربه، من الحب والقرب؟

هل سيكون الحديث بأن الله أعلم الإنسان بأقرب موضع يكون فيه أقرب ما يكون من ربه، وهو السجود! فهل كان حريصا على هذا القرب؟

هل سيذكره ربه في هذا الحديث الخاص بأنه تودد إليه فجعل مجيء الله إليه أسرع من مجيء الإنسان إلى الله ؟

هل سيذكره ربه بأنه نزل إلى السماء الدنيا ليتقرب من الإنسان في الثلث الأخير من الليل فلم يجده! حيث كان الإنسان يغط في النوم! وقد تكرر ذلك كل ليلة من عمر الإنسان؟

أما تفكر الإنسان في أنه سيأتي اليوم الذي سيستيقظ فيه يقظة أبدية لا نوم بعدها، وعندها يلقى الله فيكلمه.

أم عن ماذا سيكون الحديث؟

وما الذي يتوقعه كل أحد؟

إن الكلام مع الله سيحضره شيئان وهما أعمال العبد والنار.

ترى هل سيكون العتاب أم يكون العقاب؟

❊ ❊ ❊

25

الحجة الخامسة والعشرون
تكريم الله ﷻ للإنسان

كرم الله الإنسان وجعل له قدرًا ومنزلةً بين المخلوقات، فكان هذا التكريم حجة على الإنسان حال رفضه لهذا التكريم وإعراضه عن قبول تلك المنزلة.

لقد كان التكريم من الله بأن جعله خليفته في الأرض ثم ميزه ﷻ بميزات مثل العقل والعلم.

أما يخشى الانسان أن يسأله ربه عن ميزتى العقل والعلم، لماذا تركهما حتى كان ذلك سببا في انحطاط قدره؟ ولماذا رفض أن يكون خليفة الله في الأرض؟

قال تعالى:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]

أي فضلناهم على سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات[١].

وقال تعالى أيضا:﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣] أمر الله آدم أن يعلمهم بأسمائهم بعد أن عرضهم على الملائكة ليعلموا أنه أعلم بما سألهم عنه تنبيها على فضله وعلو شأنه، فكان أفضل منهم بأن قدمه عليهم، وأسجدهم له، وجعلهم تلامذته، وأمرهم بأن يتعلموا منه، فحصلت له رتبة الجلال والعظمة بأن جعله مسجودا له مختصا بعلمه[٢].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٦٦).

(٢) «تفسير القرطبي» (١/ ٢٢٥- ٢٢٦).

ماذا بعد هذه الحجة؟

لقد أكرمك الله وزينك بالعقل وخاطبك بالكيفية التى تزكو بها نفسك لتنافس الأبرار، ولتصل إلى منازل الأخيار، فهل ترفض هذا التكريم وتأبى إلا أن تنافس البهائم!.

ألا تعلم أن هذا هو حال الكفار﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢]

لقد كرمك الله أيها الإنسان على الملائكة بالعلم، فهل تحافظ على هذا التكريم بأن تجعل العلم والتعلم شعارك؟ أم تنزع وسام التكريم من على صدرك؟

هل ترفض أيها الإنسان ما أكرم الله به أباك آدم من علو المنزلة إذ أمر الملائكة بأن تسجد له؟ فهل تطيع الله لتحافظ على منزلة التكريم من الله تعالى؟

أم تأبى إلا أن تكون وضيعا؟ أم تطيع الشيطان الذي حسدك على هذا التكريم!

فإن أطعت الشيطان فإنه لن يرضى بانتزاع هذا التكريم منك فحسب، بل سيعمل جاهدًا؛ لأن يضمك معه في نار جهنم، تأمل قول الشيطان كما ورد في كتاب الله تعالى:﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢]

وقد زاد الله أمة خاتم المرسلين عن سائر الأمم بتكريم جديد وهو حمل رسالة الله ليبلغوها إلى الأحمر والأسود وذلك حتى قيام الساعة.

فماذا فعلوا بهذا التكريم؟



26 الحجة السادسة والعشرون

الإنـذار بالرســـالة

أنذر الله ﷻ عباده بأن أرسل لهم رسولا يحمل لهم الرسالة المشتملة على الإنذار، فيكون الله قد أعذر إلى عباده قبل أن يحكم عليهم، ولتثبت الحجة على من أعرض عن الإنذار.

ولقد اشتمل القرآن على أساليب متعددة للإنذار كالأسلوب الإخباري نحو قوله تعالى:﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾ [النبأ: ٢١-٢٢]

أو الأسلوب الشرطي كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]

وأما ما ورد في القرآن بلفظ الإنذار أو أحد مشتقاته فقد كان تكراره أكثر من تسعين مرة ليوحي هذا التكرار بتمام الحجة.

تدبر ما يلي من ألفاظ الإنذار في القرآن:

من الذي ينذر؟

الذي ينذر هو الله تعالى كما ورد في الآية الكريمة﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [الدخان:٣]

وفيها إفادة إلى أن الإنذار هو علاقة مباشرة بين الله وعباده في توجيه ذلك الإنذار، وأن ما تحمله الملائكة أو يأتي به الرسل ما هو إلا صور متعددة لأصل واحد، ألا وهو الإنذار من الرب إلى العبد.

لغة الإنذار

١- الإنذار منطوقا باللغة العربية بقراءة النبي كما قال تعالى:

﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٤- ١٩٥]

٢- الإنذار مكتوبا باللغة العربية كما قال تعالى:

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ [الأحقاف: ١٢]

طريق وصول الإنذار

١- وصول الإنذار من السماء تحمله الملائكة كما قال تعالى:

﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا * عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ [المرسلات: ٥-٦]

٢- الوحي ينزل على الرسول لينذر به كما قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥]

٣- الجن تسمع الوحي وتنذر به قومهم كما قال تعالى:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القرآن فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]

٤- المؤمنون ينذر بعضهم بعضا كما قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]

مضمون الإنذار

١- الإنذار بلزوم إفراد الله بالعبادة وعدم الحياد عن ذلك اتقاء لبطش الله وعذابه فقد كلف الله من يشاء من عباده أن يبلغوا هذه الرسالة الهامة:

﴿أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]

٢- الإنذار بالعذاب في الدنيا عند مخالفة الأمر كما قال تعالى:

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٢]

٣- الإنذار بيوم الحساب كما قال تعالى:

﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥]

٤- الإنذار بأن عذاب يوم القيامة قريب كما قال تعالى:

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ: ٤٠]

٥- الإنذار بأن النار وصفها مخيف كما قال تعالى:

﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤]

الإنذار لمن؟

لكل العالمين من إنس وجان كما قال تعالى:

﴿ لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى: ٧]

ماذا بعد هذه الحجة؟

ألا توحي كلمة الإنذار بالقلق؟

إن من يصله إنذار بالبريد بقطع المياه أو الكهرباء عن منزله فسوف يتغير برنامج حياته، ولن يطمئن حتى يعمل بموجب هذا الإنذار، فيسدد ما عليه من مستحقات.

إن من جاءه رسول ليسلمه إنذارا بالفصل من عمله فلن يهدأ له بال ولا عيش بل سيظل يسعى ويعمل حتى ينتهي التهديد بالإنذار.

فلماذا لا نقلق ونسعى للعمل بموجب إنذار ربنا؟

❊ ❊ ❊

27

الحجة السابعة والعشرون

الإنذار بالحـــوادث

لقد أقام الله ﷻ الحجة على عباده بأن أرسل إليهم الإنذار منطوقًا ومكتوبًا وباقيًا إلى يوم الحساب، ثم أتم الحجة على العباد بأن أشهدهم إنذارًا عمليًا بالحوادث، كما قال تعالى:

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ * فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس: ١٠١– ١٠٢]

(النذر) يجوز أن تكون بمعنى الإنذار، ويجوز أن تكون جمع نذير.

ومن تدبر قوله تعالى:﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾ وجد ارتباطا بين الآيات والنذر؛ لأن الآيات البديعة هي ذاتها قد تتحول إلى نذر، فالنظر في السماوات والأرض يوحي بعظمة الخالق ونعمته ورحمته بخلقه فيما رزقهم من آيات وخلق بديع متوازن لا يختل.

إلا أن الذي يمعن النظر والتدبر يدرك أن هذا الخلق المتوازن هو الذي قد قلبه الله بدلا من النعمة والرحمة عذابا ونقمة.

فهذه السماء الممطرة ماء طهورا رزقا للعباد، قد فتحها الله أبوابا تصب ماء عاتيا أهلك قوم نوح، وهذه السماء الصافية الهادئة قد زمجرت من قبل وأرسلت صاعقة أهلكت ثمود، وهذا النسيم العليل قد انقلب ريحا قاسية أهلكت قوم عاد، وهذه الأشجار المزهرة المثمرة اليانعة قد أبدل الله قوم سبأ مكانها أشجارا ذات ثمر

قليل وشوك كثير، وهذا البحر بديع المنظر قد جعله الله آية لموسى وقومه ثم قلبه بحرا هائجا ليغرق فرعون وقومه، وهذه الأرض الممهدة فجاجا وسبلا ظلت ساكنة دهورا ثم قلبها الله على قوم لوط، وشقها لتبتلع قارون، أليس من ينظر في السماوات والأرض مليا، حري به أن يدرك أن الله غفور رحيم، وأن عذابه أليم شديد، فكيف تأمن عذاب الله ؟

اقرأ هذه الآية بتمهل:

﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦-١٧]

وقد أخبر النبي ﷺ «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ الله ...»(١) ولكنه في نفس الوقت أسرع للصلاة عندما كسفت الشمس يدعو ويبتهل إلى الله ألا ينزل عذابه، وقد استجاب له ربه.

وقد أخبر العلم الحديث كثيرا عن ماهية كوكب الأرض وما حولنا من كواكب ونجوم وتفاصيل مكوناتها وسرعة جريانها، وما هي المخاطر التي يمكن أن تنذر بها من شهب ونيازك وزلازل وبراكين واحتباس حراري وذوبان للجليد وثقب لغلاف الأرض الذي يحميها، وأوبئة وجفاف وتصحر وأعاصير وفيضانات وغير ذلك كثير، وكلما كشف العلم مخبوءًا، كلما زاد اليقين بهذه الآية العظيمة التي بين أيدينا:﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآياتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ * فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس: ١٠١-١٠٢]

---

(١) أخرجه البخاري عَنْ عَائِشَةَ (١٠٤٤) ومسلم (١- ٩٠١).

تأمل كل هذه الحوادث لتدرك إنذار الله لعباده وإقامة حجته عليهم ليأخذوا حذرهم قبل فوات الأوان.

الإنذار بالموت وقرب ملاقاة الله ﷻ:

هل نسيت **الموت** الذى هو أيضا من الحوادث التي أنذر الله ﷻ بها عباده؟

تذكر قول الله﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] وقرئ: ﴿وَجَاءَتْكُمْ النُّذُرُ﴾ جَمْعًا.
قال الإمام القرطبي: النَّذِيرُ: الشَّيْبُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَالطَّبَرِيُّ، وغيرهم. وَقِيلَ: النَّذِيرُ الْحُمَّى. وَقِيلَ: مَوْتُ الْأَهْلِ وَالْأَقَارِبِ. وَقِيلَ: كَمَالُ العقل. والنذير بمعنى الإنذار. فَالشَّيْبُ وَالْحُمَّى وَمَوْتُ الْأَهْلِ كُلُّهُ إِنْذَارٌ بِالْمَوْتِ.
قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْحُمَّى رَسُولُ الْمَوْتِ، أَيْ كَأَنَّهَا تُشْعِرُ بِقُدُومِهِ وَتُنْذِرُ بِمَجِيئِهِ. وَالشَّيْبُ نَذِيرٌ أَيْضًا؛ لأنه يَأْتِي فِي سِنِّ الِاكْتِهَالِ، وَهُوَ عَلَامَةٌ لِمُفَارَقَةِ سِنِّ الصِّبَا الَّذِي هُوَ سِنُّ الله و وَاللَّعِبِ[1].

ماذا بعد هذه الحجة؟

بعد أن نبا إلى علمنا ما أنزل الله من تقلبات في السماء والأرض، فهل نأمن مكر الله تعالى؟

هل عندنا دليل أن غضب الله لن يصيبنا؟

لقد جاءتنا الحجة، وما علينا إلا أن نخاف الله ونعمل الصالحات ونسأله العافية.

---

(١) «تفسير القرطبي» (٨/ ٢٩٦).

لقد كان النبي ﷺ إذا أرسلت الريح تغير لونه وظل قلقا وَجِلًا يدعو ربه ولا يسكن إلا إذا سكنت[1]. انظر إلى حاله من الخوف والوجل وذلك من علمه قدر ما عند الله من العذاب.

هل نسينا إعصار تسونامي في السنوات الأخيرة بسواحل أندونيسيا، إذ كان إنذارا جديدا، لم نره من قبل، حيث تزلزل قاع المحيط فحرك أمواجًا بارتفاع عشرة أمتار هائجة مائجة تتوالى بسرعة كاسرة، جعلت الناقلات العملاقة تغرق أو تتأرجح كأنها لعبة في يد طفل، ثم هجم الموج بالسرعة ذاتها على الساحل فابتلع المتاع والبشر، واقتلع المنزل والحجر، واجتمعوا جميعا في باطن الموج المفترس.

لقد كان إنذارا من نوع جديد والكل عليه شهيد.

فهل اكتفينا بالإنذار الجديد؟

أم ننتظر إنذارا آخر من نوع فريد؟

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٦) ومسلم (١٥- ٨٩٩) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، إِذَا رَأَى مَخِيلَةً فِي السَّمَاءِ، أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، وَدَخَلَ وَخَرَجَ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، فَإِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَّفَتْهُ عَائِشَةُ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَدْرِي لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ الأحقاف ٢٤.

28

الحجة الثامنة والعشرون

التحـــذير

وبعد أن أنذر الله ﷻ عباده أقام عليهم الحجة التي تليها وهي التحذير.

والتحذير معناه: التنبيه لليقظة وأخذ الحيطة ويكون ذلك مرحلة ما بعد الإنذار، ويكون موجها لمن استجاب للإنذار وسلك طريق النجاة فيتم التنبيه عليه أثناء سيره بشرح التفاصيل وتحذيره؛ لأن الذي لم يستجب للإنذار تارك للأمر أصلا خلف ظهره ومعرض عنه كما قال تعالى:﴿الَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا **أُنْذِرُوا** مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]

والتحذير لمن استجاب للإنذار، نحو ما جاء في قوله تعالى:

﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً **وَيُحَذِّرُكُمُ** اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨-٢٩]

فالآيات تشمل على تبيين حكم الله لمن سلكوا طريق النجاة، واستجابوا للإنذار بأن لا يتخذوا الكافرين أولياء، ثم يحذرهم الله من عاقبة ذلك.

والحذر يختلف عن التحذير، ذلك أن التحذير يكون موجها من طرف إلى طرف آخر، أما الحذر فهو الصفة التي يتصف بها الطرف الآخر. وقد وردت صفة الحذر في القرآن كما يلي:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا **يَحْذَرُ** الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]

فهؤلاء سلكوا طريق النجاة حقا، ويحذرون مما حذرهم منه ربهم، وبين لهم تفاصيل ما ينفعهم أو يضرهم.

وقد نصح الله عباده المؤمنين بأن يتصفوا بصفة الحذر في مواضعها فقال لرسوله- صلى الله عليه وسلم:﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ [المائدة: ٤٩]

ونصح الله المؤمنين فقال ﷻ ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]

ماذا بعد هذه الحجة؟

لقد أنذر الله ثم حذر، والناس باللعب مشتغلون، وعن تحذير ربهم معرضون، هل لأن لنا منزلة عند الله ؛ فنحن بتلك المنزلة من عذاب الله آمنون؟

إن الله ﷻ قد حذر نبيه الكريم ﷺوالذي له أشرف منزلة فقال له:

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إذا **لَأَذَقْنَاكَ** ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٣– ٧٥]

قوله:﴿إذا **لَأَذَقْنَاكَ** ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ لأي لو ركنت إلى الكفار لأذقناك مثلي عذاب الحياة في الدنيا ومثلي عذاب الممات في الآخرة، قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما. وهذا غاية الوعيد[1].

هذا نموذج للتحذير الشديد للنبي الكريم، وقد كان ﷺ لتحذير ربه من الذاكرين، فلماذا نحن لتحذير ربنا من الغافلين؟

***

(١) «تفسير القرطبي» (٦/ ٢٥٤).

الحجة التاسعة والعشرون 29

النـــــــداء

والنداء حجة من الله ﷻ على عباده؛ لأن الأوامر والنواهي كانت واضحة وكافية لإبلاغ مراد الله للعباد، إلا أن النداء عليهم فيه المزيد من إقامة الحجة، لما فيه من الرحمة واللطف بالعباد، لعلهم يتأثرون بهذا النداء من الرءوف الرحيم سبحانه وتعالى، فيستجيبون لنداء الله ويلتزمون أمر ربهم ليكونوا من المفلحين.

وتكرار النداء وتنوع أساليبه فيه المزيد من الحجة على العباد.

ومثال ذلك أن يعطي الأب الأمر أو النهي لابنه، وهذا كافٍ لأن يمتثل الابن للأمر أو النهي، إلا أن نداء الأب (يا بني) افعل، يا (زيد) افعل، يا (ولدي) لا تفعل، فكل هذه النداءات بتنوعها وتكرارها حجج متتالية على الولد إن هو عصى أباه.

انظر إلى نداء الله لجميع العباد إنسهم وجنهم بصيغة «**يَا عِبَادِيَ**» وذلك في القرآن في موضعين[1] ثم تدبر بعد ذلك تكرار نفس صيغة النداء من الله للعباد عشر مرات متتالية في هذا الحديث القدسي:

يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا،
يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ،
يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ،

---

(١) ١- ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦)﴾ العنكبوت.

٢- ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾ الزمر.

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ،

يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِالليْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ

يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي،

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا،

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا،

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُل إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ الْبَحْرَ،

يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ الله، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ[1].

ألا تستشعر رحمة الله ولطفه وإعذاره إلى عباده فيما سبق من هذا النداء المتكرر؟

وبعد الانتهاء من ذلك تدبر آيات القرآن المشتملة على النداء لكل البشرية بقوله

(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**) وذلك في تسعة عشرة موضعًا في القرآن الكريم[2].

ثم انظر إلى الآيات في أول سورة البقرة حيث تصنيف الناس إلى ثلاثة أصناف وهم: (المؤمنون والكافرون والمنافقون) لتجد أن بعد ذلك التصنيف نداء الله للأصناف الثلاثة بقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] تدبر في ذلك لطف الله بالناس جميعهم، وإمهالهم،

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أَبِي ذَرٍّ ﷺ (٥٥- ٢٥٧٧) .

(٢) انظر ملحق رقم (٥).

والنداء عليهم، مؤمنهم وكافرهم، وحتى من نافق منهم، لعلهم يسمعون النداء ويستجيبون.

وعلى هذا النحو تأمل النداء لكل البشرية وتكراره بقوله تعالى: (يا بني آدم)[1]، وقوله: (ياأيها الإنسان)[2] ثم انتقل بعد ذلك وأنت تتدبر آيات القرآن لتجد أن النداء للمؤمنين في القرآن قد تكرر تسعًا وثمانين مرة بقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا) وهو أكثر صيغ النداء تكرارا[3] واستشعر مافى ذلك من الدلالة على ولاية الله ﷻ للمؤمنين، فهو سبحانه يناديهم مكررًا ليدلهم على الخير في بعض تلك الآيات، وليحذرهم من الشر في مواضع أخرى.

بعد الانتهاء من تدبر النداء في القرآن الكريم استمع لصوت المؤذن وهو ينادى عليك (حي على الصلاة، حي على الفلاح) وتذكر أن الله قد كلف من ينادى عليك مجددا خمس مرات وذلك كل يوم من أيام عمرك!!

أليس ذلك تشريعًا من الله ﷻ بتكليف من ينادي على العباد مؤمنهم وكافرهم، وذلك بصوت مرتفع لعلهم يستجيبون؟

ألا تستشعر الحجة القوية في ذلك؟

ماذا بعد هذه الحجة؟

ينادي علينا ربنا بأساليب شتى، فهل سمعنا ووعينا وأجبنا؟

---

(١) انظر ملحق (٤).

(٢) - ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار:٦].

- ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ [الانشقاق: ٦].

(٣) انظر ملحق (٣)

هل وعينا من ينادي على من؟

إن العليم هو الذي ينادي على الجاهل بكل شيء!!!

إن الغني هو الذي ينادي على الفقير في كل شيء!!!

إن القوي هو الذي ينادي على الضعيف في كل شيء!!!

إن الباقي هو الذي ينادي على الهالك مع كل شيء!!!



الحجة الثلاثون

30

استعجال الله ﷻ إجابة النداء من العباد

لم يستجب الكثير من العباد لنداءات الله المتنوعة والمتكررة، ولذلك أقام الله عليهم الحجة الجديدة باستعجال الإجابة؛ لأن إجابة النداء لها زمن محدد، ومن لم يجب النداء فعليه ستقوم الحجة يوم لا ينفع فيه الندم كما قال تعالى:

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ [الشورى: ٤٧]

وقوله تعالى:﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله﴾ [الحديد: ١٦]

وماذا بعد هذه الحجة؟

يناديك ربك فلا تجيب!!

ويكرر عليك النداء فتزداد بعدا!!

ويتنوع النداء وأنت في قيود الأماني والأوهام!!

ثم يرسل إليك مجددا بأن تستجيب له قبل الندم، فإذا بك مشغول!!

ثم يأتيك البيان بعد تأخرك عن الاستجابة، بأن غيرك قد استجاب، وهم أصحاب السمع على الحقيقة كما وصفهم الله تعالى فقال:﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]

فماذا حدث لك؟ **هل سُلِبَ منك السمع؟**

❋ ❋ ❋

31

الحجة الحادية والثلاثون
عـــدم التفـــريط

أقام الله الحجة على عباده بأن جعل دينه شاملا لا نقص فيه، فقال تعالى:

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]

أَيْ مَا تَرَكْنَا شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الدِّينِ إِلَّا وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ، إِمَّا دَلَالَةً مُبَيَّنَةً مَشْرُوحَةً، وَإِمَّا مُجْمَلَةً يُتَلَقَّى بَيَانُهَا مِنَ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ مِنَ الْإِجْمَاعِ، أَوْ مِنَ الْقِيَاسِ....،

قَالَ الله تَعَالَى:﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وَقَالَ:﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

وَقَالَ:﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧]

فَأَجْمَلَ فِي هَذِهِ الآية وَآيَةِ (النَّحْلِ) مَا لَمْ يَنُصَّ عَلَيْهِ مِمَّا لَمْ يَذْكُرْهُ، فَصَدَقَ خَبَرُ الله بِأَنَّهُ مَا فَرَّطَ فِي الْكِتَابِ من شي إِلَّا ذَكَرَهُ، إِمَّا تَفْصِيلًا وَإِمَّا تَأْصِيلًا.

وَقَالَ:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣].[1]

وعلى ذلك جاءت شريعة الله ﷻ في الأرض شاملة لكل شيء، وصالحة لكل البلاد والأزمان، وصالحة لحل أي مشكلة، لتكون حجة على من أعرض عنها واتبع غيرها من الشرائع.

ومن قرأ التاريخ علم أن المنصفين من غير المسلمين اعترفوا بفشل أنظمتهم ونصحوا باتباع شرع الله .

---

(١) «تفسير القرطبي» (٦/ ٤٢٠).

فمنها ما ورد ضمن نصائح وزارة الصحة في بلاد الغرب لمواطنيها للحد من انتشار مرض السيلان الذى انتشر نتيجة الفاحشة وذلك باستخدام الماء عقب قضاء الحاجة وجاء في النصيحة (افعلوا كما يفعل المسلمون).

ومنها اعترافهم أن تعدد الزوجات لهو الحل الأمثل لمواجهة مشكلة ندرة الرجال عقب موت الكثير منهم إبان الحرب العالمية.

ومنها اعترافهم مؤخرا بأن الأزمة المالية العالمية التي ظهرت عام ٢٠٠٨م سببها نظام الفوائد في البنوك، وأن شرع الله ﷻ بتحريم الربا لهو النظام الأصلح.

ماذا بعد هذه الحجة؟

ماذا سنفعل بعد أن علمنا أن شريعة الله شاملة لا تفريط فيها وصالحة لكل زمان؟ أليس ذلك حجة علينا إن نحن سعينا إلى شريعة سواها؟

ماذا سنفعل بعد أن علمنا أن المنصفين من غير المسلمين يقرون بأن شريعة الله هي الأصلح؟

ماذا سيكون الجواب لمن أعرض عن شريعة الله وقام الأشهاد ضده يوم القيامة بهذه الحجة؟

❊ ❊ ❊

32 الحجة الثانية والثلاثون

جعل الله ﷻ العباد بعضهم حجة على بعض

فالذاكر حجة على الغافل، والعالم حجة على الجاهل، والطائع حجة على العاصي، والصابر حجة على العجول، والناطق بالحق حجة على الكاتم له، والمجاهد في سبيل الله حجة على القاعد، والراضي بقضاء الله حجة على المتسخط وهكذا.

فمن احتج بضيق رزقه وتسخط فلينظر فيمن حوله، فسيجد من أقرانه من هو أقل منه رزقا وأكثر رضا بقسمة الله فيكون ذلك الشخص حجة من الله على غيره.

ومن احتج بصعوبة دراسة القرآن وعلوم الشريعة الإسلامية، فلينظر إلى عباد آخرين غير ناطقين بالعربية، كيف درسوا وأتقنوا، فهم حجة من الله عليه.

وفي هذا الباب أيضا يطلع العباد لينظروا عاقبة الطغاة وما نالهم من عقوبة الله في الدنيا، فمن قرأ التاريخ ونظر فيمن حوله أبصر واعتبر بغيره ممن طغى وظلم من حكام ومحكومين، وعلم من هذا الباب ما يكون له زاجرا وحجة من الله عليه.

ماذا بعد هذه الحجة؟

أما تخشى أن يكون غيرك حجة عليك؟

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]

❋ ❋ ❋

33

الحجة الثالثة والثلاثون

إبداع خلق السماوات والأرض

لقد أبدع الله ﷻ خلق السماوات والأرض، لتكون حجة لا تنقطع أبدًا، وأمرك بالتأمل فيهما ليكون لك سبيلٌ للتعرف على قدرة الله وتفرده بالخلق ووسيلة للاطلاع على ملكوت الله، فالتأمل في خلق السماوات والأرض عبادة عظيمة لله؛ لأنه يورث العلم والخشية ويكسب المتأمل التعرف على مزيد من أسماء الله وصفاته.

تأمل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥]

إن وجود المخلوقات الكثيرة والمتنوعة يشهد بوجود خالقها، وهو الله ﷻ إذ ليس في الوجود من ادعى خلق كل هذه المخلوقات سواه.

وكذلك فإن التفكر في هذه الأكوان يدل العقل على موجدها، إذ يستحيل أن يقبل العقل وجود شيء بلا موجد، فمن البديهي أن الثياب الجميلة لابد أن هناك من صممها ثم حاكها لتخرج بهذه الصورة، وكذلك النقوش فإن هناك من نقشها.

فمن الذي أبدع هذه الأكوان لتكون عظيمة في خلقها، بديعة في نسقها، مختلفة في ألوانها، دقيقة في ترتيبها؟ إنه الله .

إن التأمل في هذا الخلق البديع يمكن أن يكشف لنا عن حقائق ربما غفلنا عنها زمنا طويلا..

فإذا تأملنا﴿مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ سنجد أن جميع الكواكب والنجوم السيارة في ملكوت الله تدور وتسبح بسرعات عالية.

وكذلك إذا تأملنا ﴿مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ سنجد أن جميع الأشياء تتكون من ذرات، وهذه الذرات تدور فيها الالكترونات بسرعة كبيرة كذلك.

وبناء على ذلك يمكن أن نعيد النظر فيما حولنا من مخلوقات، فمثلا إذا نظرت الى منزل فاخر وأعجبك بناؤه الراسخ على الأرض، فاعلم أنه في الحقيقة ليس كما ترى!!

وذلك لأنه يتحرك حركتين، أولهما أنه يطيح ويتقلب في الهواء؛ لأنه محمول على الأرض التى تتحرك وتتقلب كما ذكرنا مع سائر النجوم والكواكب بسرعات عالية، وثانيهما أن ذلك المنزل يتكون من ذرات فجميع ذراته تدور فيها الإلكترونات بسرعة كبيرة.

فكر متأنيا في هاتين الحركتين لتعلم أن كل شىء في الدنيا يتحرك ويجري تحت قهر وسلطان مالك الملك ﷻ ، ولن يكف عن الحركة، بل ينتظر ما يقضي به الخلاق العليم بنهاية الدنيا.

راقب هذا المشهد الرهيب لتشاهد ملكوت ربك مشاهدة جديدة.

فإذا جميع المخلوقات على اختلاف أحجامها وبأعدادها المذهلة قد أطاعت ربها وانتظمت تدور في فلكها الذي حدده لها مالكها وخالقها.

تفكر بعد ذلك في عجز عقلك وبصرك عن إدراك أقطار هذا الملكوت.

لا تنس التحام مخلوقات أخرى لا تراها عيناك مثل الملائكة وهي تصطف بأعدادها وأحجامها الجبارة في أركان الملكوت وجنباته، وقد امتلأ الكون وارتج من تسبيحها وتحميدها الذى لا ينقطع.

تأمل وتفكر في جلال هذا الملكوت لتخشع نفسك وتركع إرادتك وتنحني جبهتك، ويقشعر جلدك وتذرف عيناك تعظيما وتقديسا وتمجيدا لمالك الملك.

فيا قبح من ادعى لنفسه الملك.

ويا حسرة من غفل عن إدراك الملكوت.

تأمل الآية التى بين أيدينا مرة أخرى لتجد أن الحديث قد انتقل لمعانى الآخرة في قوله تعالى﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ حيث تستبدل هذه المخلوقات يوم القيامة بخلق آخر، حيث يخرج الناس من القبور أشتاتا، مسرعين الخطا يريدون فرارا، فلا يستطيعون فكاكا؛ لأنهم تحت قهر وسلطان مالك يوم الدين، فيظلون هكذا في فلكهم يدورون مدة خمسين ألف سنة، ولن يكفوا عن الحركة أيضا، بل ينتظرون ما يحكم به العلي الكبير.

ألا تتأمل حركة المخلوقات تحت قهر خالقها في الدنيا، لتوقن أن الخالق لها قادر على أن يجعل مخلوقات أخرى في الآخرة (أنت من منهم) لها نفس الحركة!!

ألا يحملك هذا التأمل لليقين القاطع لأحداث يوم القيامة التى وصفها الله لك في القرآن، ألا يسوقك هذا التفكر للتصديق بأحداث يوم القيامة، وكأنك تراها؟

إن هذه الآية التي بين أيدينا وردت في القرآن في سياق الخطاب للكافرين، والذين سيكونون مصيرهم الفزع والحركة المستمرة في الآخرة (وهم الأكثرون) وأما المؤمنون (وهم الأقلية) فإنهم آمنون يوم القيامة يمر هذا اليوم عليهم قدر الصلاة المكتوبة [1].

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (١/ ٣٢٥/ ٣٦٢)، وقد صح عن أبي هريرة أخرجه ابن حبان (٢٥٧٨) بسند صحيح عنه بلفظ: (يوم يقوم الناس لرب العالمين).

إن المؤمن الذاكر لله ﷻ يتأمل هذا الخلق البديع في الدنيا ويؤمن بآيات الله، ويحيا كأحد المخلوقات المقهورة بسلطان مالك الملك، ويزيده الله هدى فكأنما يرى أحداث الآخرة رأي العين.

وأما الغافل فإنه في الدنيا لا يرى ولا يتأمل بل هو في غفلة إلى أن يشاهد المشاهد يوم القيامة فجأة﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]

ماذا بعد هذه الحجة؟

كم مرة تأملنا في خلق السماوات والأرض؟

كم مرة نظرنا إلى السماء في ليلة صافية؟

إن عين الإنسان يمكنها أن ترى في وقت واحد ألفي وخمسمائة نجم[1] مرتبة في السماء ترتيبا بديعا وكأنها لوحة فنية مدهشة﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦]

إن هذا المشهد الرائع لا يراه سكان المدن حيث يحجب الغبار المتصاعد والضوء الشارد من أضواء المدن رؤية الإنسان لهذه اللوحة الفنية المدهشة.

فهلا سعينا للخروج لنتأمل في خلق السماوات والأرض، أم ألهتنا أضواء المدن التي نسكنها، وشغلتنا أموالنا وأهلونا؟.

إن كل صاحب مهنة يمكنه أن يرى من خلال تأمله في مهنته﴿مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ وكم من داخل للإسلام أو محصل للإيمانيات من هذا الباب من أطباء ومهندسين وعلماء فلك وبحار وجيولوجيا وغير ذلك كثير.

(١) انظر موسوعة «غينيس في علم الفلك» (ص ١٣٨).

فهل وعينا حجة إبداع خلق السماوات والأرض وشاهدنا الآيات الكونية؟

أم ننتظر أن تفجؤنا العلامات الكبرى ليوم القيامة حيث لا ينفع التأمل.



34

الحجة الرابعة والثلاثون

شهود العباد لفناء المخلوقات، والبلى لكل جديد

دلنا الله ﷻ على أن كل شيء سوى الله هالك لا محالة، ليكون هذا الخبر حجة على العباد لعلهم يتفكرون، ولا يغترون بالحياة الدنيا وبما لديهم من ممتلكات قد استخلفهم الله فيها فترة من الزمان، قال تعالى:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]

ومن تأمل هذا الخبر دفعه ذلك إلى التفكر في زوال المخلوقات وفنائها، فمن ذلك ما يشاهده بنفسه من مفارقة الأرواح للأجساد، ثم مشاهدته لفناء الأجساد التى فارقتها الأرواح، ومن ذلك ما يقصه علينا المؤرخون، ومن ذلك ما يخبرنا به العلم الحديث من أن نجوم السماء، الهائلة في حجمها والشديدة في توهجها، تولد ثم تبقى ما قدر الله لها من العمر، ثم تخبو وكأنها في شيخوخة إلى أن تنتهي تماما كما ينتهي كل شيء إلى الفناء.

تأمل ما مضى، ثم تدبر قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]

ثم تدبر قوله تعالى:﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾[العنكبوت: ٦٤]

أي أن ما من شيء أعطاه الله الأغنياء من الدنيا إلا وهو يضمحل ويزول، كاللعب الذي لا حقيقة له ولا ثبات. قال القرطبي: وَهَذَا كُلُّهُ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا مِنَ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْمَلْبَسِ الزَّائِدِ عَلَى الضَّرُورِيِّ الَّذِي بِهِ قِوَامُ الْعَيْشِ، وَالْقُوَّة عَلَى الطَّاعَاتِ، وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْهَا لله فَهُوَ مِنَ الْآخِرَةِ، وَهُوَ الَّذِي يَبْقَى، كما قال:

﴿وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] أَيْ مَا ابْتُغِيَ بِهِ ثَوَابُهُ وَرِضَاهُ.

وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] أَيْ دَارُ الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ الَّتِي لَا تَزُولُ وَلَا مَوْتَ فِيهَا. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنها كذلك[١].

تفكر في كل ذلك، ثم انظر إلى تذكير الله لرسوله ﷺ بهذه الحجة فأرسل إليه جبريل ليقول له:

يَا مُحَمَّدُ: عِشْ مَا شِئْتَ فِإنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفارِقُهُ، واعْمَلْ مَا شِئْتَ فإنَّكَ مَجزِيٌّ بِهِ[٢].

(١) «تفسير القرطبي» (٨/ ٣٣).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤ / ٣٢٤- ٣٢٥) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ. وقال: «صحيح الإسناد»! ووافقه الذهبي! وحسنه لغيره الألباني في الصحيحة (٨٣١).

ماذا بعد هذه الحجة؟

بعد أن شهدنا بأعيننا فناء البشر والحيوان والنبات، وزوال الملوك والسلاطين والقصور.

وبعد أن أخبرنا الله أن جميع المخلوقات إلى نفس المصير ستئول،

فما هو الجواب حين تواجه الانسان هذه الحجة؟

ولماذا استولى على قلبه حب مسكنه في الدنيا، رغم ما لديه من برهان بأن بقاء ذلك المسكن مستحيل؟

ولماذا أنساه الشيطان كل برهان، ليوهمه بأن الوعد بإقامته في مسكنه في الآخرة من جنس المستحيل؟

أما سمعنا الواعظ وهو يقول:

من ذا الذي يبني فوق موج البحر دارا، تلك هى الدنيا فلا تتخدوها قرارا

لقد زادت الحجة على العباد بأن أخبرهم الله بالدار الحقيقية وهي الجنة، ودعاهم إلى السكنى فيها.



35 الحجة الخامسة والثلاثون

دعوة الله ﷻ للعباد أن يسكنوا في جنته

بين الله ﷻ حال الدنيا كما سبق ذكره في الحجة السابقة، ثم أقام الحجة التي تليها بأن دعا عباده ليسكنوا في دار لا فناء فيها، وهي جنة الله، فقال تعالى:

﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]

قوله تعالى:﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ﴾ قال القرطبي: لَمَّا ذَكَرَ وَصْفَ هَذِهِ الدَّارَ وَهِيَ دَارُ الدُّنْيَا وَصَفَ الْآخِرَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ لا يَدْعُوكُمْ إِلَى جَمْعِ الدُّنْيَا بَلْ يَدْعُوكُمْ إِلَى الطَّاعَةِ لِتَصِيرُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ، أَيْ إِلَى الْجَنَّةِ؛ لأن مَنْ دَخَلَهَا سَلِمَ مِنَ الْآفَاتِ.

وقال يحيى بن معاذ: يا بن آدَمَ، دَعَاكَ اللهُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ فَانْظُرْ مِنْ أَيْنَ تُجِيبُهُ، فَإِنْ أَجَبْتَهُ مِنْ دُنْيَاكَ دَخَلْتَهَا، وَإِنْ أَجَبْتَهُ مِنْ قَبْرِكَ مُنِعْتَهَا[1].

وقوله تعالى:﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ عمَّ بالدعوة إظهارا لحجته، وخص بالهداية استغناء عن خلقه[2].

وقد دلَّ الله عباده أن إعمار بيوتهم الحقيقية في جنة الله في الآخرة يكون بالأعمال الصالحة.

(١) «تفسير القرطبي» (٨/ ٣٢٨).

(٢) «تفسير القرطبي» (٥/ ٢٨٢).

ماذا بعد هذه الحجة؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»(١).

أي: أن الله ﷻ دعا كل الناس لدخول جنته وأرسل إليهم الرسول ﷺ ليبين لهم سبيلها، فمن سلك السبيل فقد دخل الجنة ومن لم يسلكه فقد أبى.



(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

36

الحجة السادسة والثلاثون

جمـاعة المسلميـن

فرض الله ﷻ العبادة الجماعية لتكون من شعائر الله، ولتقوم بها الحجة، فأمة الإسلام التي آمنت بالقرآن وعملت به حجة على غيرها من الأمم، وشهداء عليهم يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]

والحجة التى سيكونون بها شهداء على غيرهم هو ما في أيديهم من البرهان في كتاب الله المشتمل على إرسال الرسل للأمم السابقة ودعوة هؤلاء الرسل لأقوامهم لعبادة الله وحده.

كذلك فإن بقاء أمة الإسلام قرونا من الزمان يتنقلون عبر البلدان والأزمان، يعبدون الإله الحق ويتخلقون بأخلاق الإسلام الكريمة، ويعملون بشريعته التي ثبتت صلاحيتها للبشر في كل زمان ومكان لمن أعظم الحجج، فإذا كان رسول الله نموذجا لتطبيق دين الله في الأرض، وحجة على غيره فإن جماعة المسلمين المتبعين لنفس المنهج نموذج جماعي لنفس الدين، وحجة على غيرهم من الأفراد والجماعات.

وكم من داخلٍ في الإسلام لمشاهدته جماعة من المسلمين المطبقين لشرع الله تطبيقا حقا، وقد أخبر رسول الله ﷺ: «لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ الله، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ الله وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»(١)

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٧٤- ١٠٣٧) من حديث مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه.

فمن أراد شهود جماعة المصلين المتبعين لمنهج الله خاصة عند فساد الزمان، فليبحث عنهم فإنهم لن ينقطعوا أبدا كما أخبر بذلك الصادق الأمين.

إن مشاهدة العابدين والمصلين والحجاج والمعتكفين والصائمين والمنفقين في سبيل الله والمجاهدين حجة على غيرهم.



خاتمــة

ماذا بعد كل هذه الحجج؟

وما ظنك بمن أعرض عن كل هذا؟ فغيَّر في فطرة الله ﷻ واستعمل النِّعَمَ التي ليس له فيها أي فضل حسب هواه، ولم يستمع للنصح، ولم يستجب لنداء العقل ولا العلم ولا أي نداء إلا ما تمليه عليه نفسه الجانحة عن الحق.

أما ترى أن حال من أعرض عن كل هذه الحجج ينطبق عليه قول النبي ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ يَأْبى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[1].

﴿ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

[الإسراء: ١٤]

* * *

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

المُلْحَقَات

ملحق (١)

تكرر ذكر كلمة (التنزيل) لكلام الله وآياته ومشتقاتها واختلاف الإسناد للضمائر على اثنين وعشرين وجها وهي:

١- **نَزَل** كما في قوله تعالى ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ** ﴾ [الشعراء: ١٩٣- ١٩٤] وفيها إفادة لنزول جبريل ﷺ مرة بعد أخرى، وقد وردت في القرآن مرة واحدة، وفيها إشارة لمشيئة الله بنزول كلامه محمولا مع جبريل للرسول النذير (فَهُوَ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لأنه تَنْزِيلُهُ، وَهُوَ قَوْلُ جِبْرِيلَ؛ لأنه نَزَلَ بِهِ، وَهُوَ قَوْلُ مُحَمَّدٍ؛ لأنه أَنْذَرَ الْخَلْقَ بِهِ)[1].

٢- **نَزَّل** كما في قوله تعالى ﴿ **اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ** ﴾ [الزمر: ٢٣] فيها إفادة لتكرار التنزيل لأحسن الحديث. فكيف يعرض الناس عن أحسن الحديث إلى غيره من الأحاديث؟ وتكرر هذا اللفظ تسع مرات.

٣- **نَزَّله** وتكررت مرتين كما في قوله تعالى ﴿ **نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ** ﴾ [البقرة: ٩٧] وفيه إشارة لبداية رحلة التنزيل من (الله) من فوق سبع سماوات حتى وصولها إلى نهايتها على قلب الرسول ﷺ.

٤- **نَزَّلنا** وتكررت خمس مرات كما في قوله تعالى ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا** ﴾ [البقرة: ٢٣] ولم تشتمل الآية على اسم الله ﷻ بل على الضمير (نا) الدال

(١) «تفسير الرازي» (٣٠/ ٦٣٤).

على العظمة وكذلك القرآن ضمنا وليس تصريحا، وهذا الحذف فيه إشارة لأسلوب التحدي الذي يأتي سريعا قاطعا لإيصال التحدي للطرف الآخر دون إطالة.

٥- **نَزَّلناه** تكررت مرتين كما في قوله تعالى:﴿**وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا**﴾ [الإسراء:١٠٦]

وفيها إسناد الضمير للمنزل ﷻ والكتاب المنزل متفرقا في نيف وعشرين سنة، في حين نزلت سائر الكتب جملة واحدة[١] ومن فوائد التنزيل المتفرق: تنشيط الهمم لقبول ما نزل من القرآن وتنفيذه، حيث يتشوق الناس بلهف إلى نزول الآية، لا سيما عند اشتداد الحاجة إليها كما في آيات الإفك واللعان[٢].

٦- **نُزِّل** تكررت أربع مرات كما في قوله تعالى:

﴿**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ [النحل: ٤٤]

وهذه الصيغة لم تشتمل على التصريح بالفاعل للتنزيل ﷻ حتى يتشوق المستمع للتعرف عليه في بيان الرسول لأسمائه وصفاته وأوامره ونواهيه.

٧- **يُنَزَّل** وردت مرتين كما في قوله تعالى:

﴿**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ [البقرة: ١٠٥]

قيل إشارة للحسد من الكفار للمؤمنين على هذا الخير المنزل من السماء.

٨- **تُنَزَّل** وردت مرة واحدة كما في قوله تعالى: ﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ**﴾ [آل عمران: ٩٣] وفيها إشارة للتأنيث للتوراة مثل التأنيث للسورة في قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ [النور:١]

---

(١) «تفسير الرازي» (٢١/ ٤١٧) وفيه بحث مفيد.

(٢) «مقدمة تفسير القرآن» للعثيمين (ص ٢٠).

٩- يَتَنَزَّل وردت مرة واحدة كما في قوله تعالى: ﴿**يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ**﴾ [الطلاق: ١٢] وفيها إشارة لخلق السماوات والأرض وتكرار التنزل بينهما.

١٠- مُنَزَّل وردت مرة واحدة كما في قوله تعالى:

﴿**يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ**﴾ [الأنعام:١١٤]

فيها إشارة لرسوخ العلم عند المؤمنين بهذه الكيفية للتنزيل من الله وأنها الحق.

١١- نُنَزِّل وقد وردت مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ القرآن**﴾ [الإسراء: ٨٢].

أَيْ: وَنُنَزِّلُ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ الَّذِي هُوَ قُرْآنٌ مَا هُوَ شِفَاءٌ[(١)] لاحظ هنا إسناد نون العظمة لهذا الجنس المعجز.

١٢- يُنَزِّل ﴿وَالله أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّل﴾ النحل ١٠١.

وفيها إشارة لسعة علم كلام الله المنزل وإحاطة الله بذلك العلم.

١٣- تَنْزِيلُ تكررت ١٠ مرات وقد أضيفت إلى أسماء الله الحسنى كما في قوله تعالى: ﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ الله الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ [غافر: ٢]

وقوله: ﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ الله الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ [الزمر: ١]

وقوله: ﴿**تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ [فصلت: ٢]

وفيها إشارة إلى أن هذا التنزيل ممن له هذه الأسماء الحسنى.

وقد خلت من إضافة حرف الجر (من) في قوله: ﴿**تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ**﴾ [يس: ٥]

---

(١) «تفسير الرازي» (٢١/ ٣٨٩).

وفيها إشارة إلى كيفية التنزيل من العزيز الرحيم. فهل تدبرت فعل العزيز الرحيم في كيفية ذلك التنزيل؟

١٤- تَنْزِيلًا جاءت مرة واحدة كما في قوله تعالى: ﴿**تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى**﴾ [طه: ٤] وفيها إشارة بِأَنَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْكَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ (وهو خالق السماوات والأرض) لَا يَتْرُكُ نَصْرَكَ وَتَأْيِيدَكَ[1].

١٥- أَنْزَلَ تكررت ٣٣ مرة وأسندت إلى الحرف (على) كما في قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لله الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ**﴾ [الكهف: ١]

واستعمال حرف الجر (على) يشير إلى علو الذات الإلهية.

ويلاحظ ذلك في قوله (الحمد لله) الذي أثنى على نفسه حيث عجز المخلوقون عن استيفاء الثناء على الله لعلو شأنه ﷻ ثم تأمل قوله (عبده) وما تشير إليه من الافتقار إلى الله ﷻ.

وقد أضيفت إلى حرف الجر (إلى) كما في قوله ﴿**أَنْزَلَ إِلَيْكَ**﴾[النساء: ١٦٦] وفيها إشارة لقرب رحمة الله من الرسول، حتى وصل إليه برحمته فأنزل إليه الكتاب عن قرب منه، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**﴾ [النساء: ١٦٣][2].

وقد أضيفت أيضا إلى الحرف (مع) كما في قوله تعالى:

﴿**وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ**﴾[الأعراف: ١٥٧]

---

(١) «التحرير والتنوير» (١٦/ ١٨٦).

(٢) هذا بالنسبة للرسل، أما بالنسبة لغيرهم كما ورد في قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي ما وصل إليكم بعد ما أنزل على الرسل.

لأن بعث الرسول ونزول الكتاب كانا معا وفي توقيت واحد؛ لأن نبوته أنزلت معه.

١٦ – أَنْزَلْتُ كما في قوله تعالى: ﴿**وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ**﴾ البقرة ٤١.

وفيها إسناد تاء المتكلم بعد ورود الأمر تنبيها لأهمية اتباع الأمر بالإيمان بكلام الله المنزل.

١٧ – أُنْزِلَ وتكررت ٣٨ مرة كما في قوله تعالى: ﴿**فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ الله**﴾ [هود: ١٤]

وفيها إشارة لأن يتفكر المتفكرون ويعلموا أن الإنزال كان بعلم الله ﷻ.

١٨ – أَنْزَلَهُ تكررت ٣ مرات كما في قوله تعالى:

﴿**ذَلِكَ أَمْرُ الله أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ**﴾ (الطلاق ٥) وفيها إشارة للأمر، أي أن الذي أُنزل هو حكم الله وشرعه.

١٩ – أَنْزَلْنَا تكررت ٢٤ مرة، كما في قوله تعالى:

﴿**فَآمِنُوا بالله وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا**﴾ لاحظ ورود وصف القرآن (النور) مقدما قبل لفظ (**أَنْزَلْنَا**) ثم قارن ذلك الوصف للقرآن (النور) بوصف التوراة في قوله تعالى ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ**﴾ (المائدة: ٤٤)

حيث كان وصف (نور) للتوراة غير معرفا بالألف واللام وجاء متأخرا بعد لفظ (**أَنْزَلْنَا**).

٢٠– أَنْزَلْنَاهُ تكررت ١٢ مرة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ**﴾

وفيها إشارة إلى أن إرادة الإنزال من الله ﷻ لهي الإرادة الحق، وأن نزوله مع جبريل كان نزول الحق، واختيار الرسول ﷺ ليكون محل النزول لهو الاختيار الحق.

٢١- أَنْزَلْنَاهَا جاءت مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿**سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا**﴾

واختص التنزيل لهذه السورة لما فيها من أحكام هامة تنظم حياة الناس فكأن الإنزال كان للأحكام.

٢٢- لَتَنْزِيلُ جاءت مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾

وفيها تأكيد بـ(أن) و(اللام) بأن هذا الحدث هو فعل رب العالمين، وهو سبحانه الذي يربي العباد ويعلم ما يصلحهم ولذلك نفذت مشيئته لذلك الحدث (التنزيل).

تدبر ما سبق ذكره من هذه الأمثلة لتتفكر في ألفاظ التنزيل، ولاحظ أنه قد تكرر لفظ إنزال الماء أيضا من السماء في القرآن مرات عديدة، وتذكر أن الماء المنزل من السماء هو أصل الحياة؛ لأن الماء العذب على الأرض من أنهار وآبار وبحيرات عذبة مصدره الأمطار، وبدون هذه الأمطار تنعدم الحياة على الأرض فقال تعالى:

﴿وَاللهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (النحل ٦٥)

فالماء العذب المنزل من السماء نعمة من الله ﷻ وبدونه تموت كل الكائنات، فبه تحيا الأجساد.

والوحي المنزل من السماء نعمة من الله ﷻ وبدونه تموت القلوب، فبه تحيا القلوب.

والماء المنزل من السماء يحتاج إلى أرض صالحة للإنبات، كذلك الوحي المنزل من السماء يحتاج إلى قلوب حاضرة تفهم كلام الله ويثمر فيها الخير.

وكأن الله ﷻ يقول لنا كونوا أرضا صالحة لما أنزلته عليكم حتى تعوا مراد الله منكم وتتقوا حكمه وعذابه في الدنيا وحين يحكم عليكم في الآخرة.

وفي الحديث الصحيح: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ الله بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلًا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى ا لله الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**»[1]

والتفكر في إنزال الماء والوحي من السماء أمر مطلوب، فنهر النيل مثلا مصدره الأمطار الغزيرة التي تهطل ليلًا ونهارًا فوق الجبال بإفريقيا، وهي تسح سحا لايفتر ولا يكل ولايمل في منظر مهيب، فيتدفق الماء ثجاجا يشق طريقه عبر الأودية ليقطع آلاف الأميال، فيأتينا ونحن في منازلنا ونحن غافلون عن هذا الإنزال.

كذلك إنزال الوحي من السماء ينزل به الروح الأمين من فوق سبع سماوات حاملا كلام الله ﷻ في منظر تنخلع له القلوب، وقد ارتعد منه النبي ﷺ حين رآه أول مرة، وراح يقول: (زملوني زملوني) وذلك عندما رأى جبريل باسطا جناحيه يسد الأفق، فما بالك بمنظر الهبوط طوال الرحلة من الملأ الأعلى حتى الأرض.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه البخاري (٧٩) ومسلم (١٥- (٢٢٨٢) عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه.

ملحق (٢)

نماذج من ضرب الأمثال في القرآن

انظر كيف ضرب الله تعالى المثل لإيضاح جريمة الشرك بالله ﷻ

قال تعالى: ﴿**ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[الروم: ٢٨]

قال بعض العلماء: هذه الآية أصل في الشركة بين المخلوقين لافتقار بعضهم إلى بعض ونفيها عن الله سبحانه، وذلك أنه لما قال تعالى: ﴿**ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾ الآية

فيجب أن يقولوا: ليس عبيدنا شركاءنا فيما رزقتنا، فيقال لهم: فكيف يتصور أن تنزهوا أنفسكم عن مشاركة عبيدكم، وتجعلوا عبيدي شركائي في خلقي؟ فهذا حكم فاسد وقلة نظر وعمى قلب، فإذا بطلت الشركة بين العبيد وسادتهم فيما يملكه السادة- والخلق كلهم عبيد لله تعالى- فيبطل أن يكون شيء من العالم شريكا لله تعالى في شيء من أفعاله؛ فلم يبق إلا أنه واحد يستحيل أن يكون له شريك، إذ الشركة تقتضي المعاونة، ونحن مفتقرون إلى معاونة بعضنا بعضا بالمال والعمل؛ والقديم الأزلي منزه عن ذلك ﷻ.

وهذه المسألة أفضل للطالب من حفظ ديوان كامل في الفقه؛ لأن جميع العبادات البدنية لا تصح إلا بتصحيح هذه المسألة في القلب، فافهم ذلك.

ثم تأمل كيف ضرب المثل؛ لتبيين حال هؤلاء الشركاء الذين يدعونهم من دون الله :

فقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾[الحج: ٧٣]

أي: لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك؛ كما قال أبو هريرة عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: "قال الله ﷻ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؟ فليخلقوا ذرة، فليخلقوا شعيرة "[1] ثم قال تعالى أيضًا: ﴿**وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ**﴾

أي: هم عاجزون عن خلق ذباب واحد، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه، لو سلبها شيئًا من الذي عليها من الطيب، ثم أرادت أن تستنفذه منه لما قدرت على ذلك، هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ثم قال: ﴿**ما قدروا الله حق قدره**﴾ أي ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره من هذه التي لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها..

وأما المنافق فقد أوضح الله ﷻ لك صورته (انظر ص ٨٢-٨٣)

ثم تأمل ضرب المثال لحال المؤمن والكافر في قول الله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [الملك: ٢٢]

فقد ضرب الله مثلا للمؤمن {سويا} والكافر {مكبا} أي منكسا رأسه لا ينظر أمامه ولا يمينه ولا شماله؛ فهو لا يأمن من العثرة والانكباب على وجهه.

كمن يمشي سويا معتدلا ناظرا ما بين يديه وعن يمينه وعن شماله.

قال ابن عباس: هذا في الدنيا [1].

ومن تأمل حال الكفار قديما وفي زمننا (فى بلاد الغرب أو الهندوس أو غيرهم) وجد هذا الوصف الدقيق والمثال البديع من الله ﷻ، فحال هؤلاء الكفار عند سؤالهم لماذا يعبدون المسيح؟ أو النار؟ أوالبقر؟

لا تجد لديهم حجة ولا دليلا، وإذا سألتهم لماذا يقبلون على الدنيا ليصرفوا لها كل قوتهم ولا يلتفتوا إلى الآخرة؟ فلا تسمع أيضا جوابًا شافيًا، بل هم منخرطون منكبون على طريقتهم لا يريدون أن يسمعوا ولا أن يتدبروا، حتى لو ظهر لهم الحق. فهم لا يريدون من أحد أن يخرجهم من أهوائهم ودنياهم وملذاتهم وشهواتهم، فهم لا يريدون أن يلتفتوا عن مقصودهم الدنيء إلى الحق.

وأما المؤمن فهو ذو أذان صاغية... متدبر... متأمل... متفكر!

وإذا كان هذا حال المشركين وشركائهم، وكذلك حال الكافر والمنافق، فإن كل هؤلاء صور متعددة للباطل، فأتم الله الحجة بضرب المثل للمقارنة بين الحق والباطل عامة فقال تعالى: **﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ الله الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ الله الْأَمْثَالَ﴾** [الرعد: ١٧].

اشتملت هذه الآية الكريمة على مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه، والباطل في اضمحلاله وفنائه.

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٠- ١٠٥- ١٠٦).

ففى المثال الأول قال تعالى: ﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾ أي مطرًا، ﴿**فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا**﴾ أي أخذ كل واد بحسبه، فهذا كبير وسع كثيرًا من الماء، وهذا صغير وسع بقدره، وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها، فمنها ما يسع علمًا كثيرًا، ومنها من لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها ﴿**فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا**﴾، أي فجاء على وجه الماء الذي سال في هذه الأودية زبد عالٍ عليه.

وفى المثال الثانى قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ**﴾ الآية، وهو ما يسبك في النار من ذهب أو فضة ﴿ابتغاء حلية﴾ أي ليجعل حلية أو نحاسًا أو حديدًا فيجعل متاعًا، فإنه يعلوه زبد منه، كما يعلو ذلك زبد منه، ﴿**كَذَلِكَ يَضْرِبُ الله الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ**﴾ أي إذا اجتمعا لإثبات الباطل ولا دوام له، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء، ولا مع الذهب والفضة مما سبك في النار، بل يذهب ويضمحل.

وبعد ضرب المثلين قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً**﴾ أي لا ينتفع به بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي، ويعلق بالشجر وتنسفه الرياح، وكذلك خَبث الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب ولا يرجع منه شيء ولا يبقى إلا الماء، وذلك الذهب ونحوه ينتفع به، ولهذا قال: ﴿**وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ الله الْأَمْثَالَ**﴾. قال ابن عباس: هذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها، فأما الشك فلا ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله، وهو قوله: ﴿**فأما الزبد**﴾ وهو الشك ﴿ **فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**﴾ وهو اليقين، وكما يجعل الحلي في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار، فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك..

هذه نماذج من الأمثال التي ضربها الله عز وجل في كتابه لتبيين مراده وإقامة حجته على عباده والنماذج التي تم ذكرها هي لأهم القضايا الإيمانية، وليست على سبيل الحصر، فإن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، قد اشتملا على الكثير من الأمثال التي يمكن الرجوع إليها في مصادرها.



ملحق (٣)

نداءات الرحمن لأهل الإيمان (يا أيها الذين آمنوا)

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ الْمُبَارَكِ، حَدَّثَنَا مِسْعَر، عَنْ مَعْن وعَوْن- أَوْ أَحَدِهِمَا- أَنَّ رَجُلًا أَتَى عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: اعْهَدْ إِلَيَّ. فَقَالَ: إِذَا سَمِعْتَ الله يَقُولُ **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** فَأَرْعِهَا سَمْعك، فَإِنَّهُ خَيْرٌ يَأْمُرُ بِهِ أَوْ شَرٌّ يَنْهَى عَنْهُ[1].

آيات الأوامر (٥٢)

آيات النواهي (٣٧)

أولًا: آيات الأوامر

١- سورة البقرة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٣)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٨٣)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢٠٨)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا للهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧٢)

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣١٧).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٢٥٤)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾(٢٦٧)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(٢٧٨)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٢٨٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١٧٨)

٢- سورة آل عمران

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾(١٠٠)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) بَلِ الله مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٢٠٠)

٣- سورة النساء

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(٥٩)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾(٧١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ الله فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ الله مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ الله عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(٩٤)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لله وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا ف الله أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(١٣٥)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بالله وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾(١٣٦)

٤- سورة المائدة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ الله يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾(١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ الله لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٨)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا الله وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(١١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٣٥)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١٠٥)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ

الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ باالله إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ الله إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾

٥- سورة الأنفال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ الله الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾(٢٣)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا الله يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَالله ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا الله كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ الله وَالله بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾(٤٧)

٦- سورة التوبة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(١١٩)

٧- سورة الحج:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي الله حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ

حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بالله هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾(٧٨)

٨- سورة النور:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمُ الْآيَاتِ وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

٩- سورة الأحزاب:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ الله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بالله الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾(١١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا الله ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾(٤٤)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾(٤٩)

﴿إِنَّ الله وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٥٦)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٧١)

١٠- سورة محمد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا الله يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ الله فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾(٩)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣)﴾

١١- سورة الحجرات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ الله لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ الله حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمان وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ الله وَنِعْمَةً وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢)﴾

١٢- سورة الحديد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَالله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٢٨)

١٣- سورة المجادلة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ الله لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ الله عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ والله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣)﴾

١٤- سورة الحشر:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا الله فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩)﴾

١٥- سورة الممتحنة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ الله أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ الله يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(١٠)

١٦- سورة الصف:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بالله وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ الله وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ الله كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى الله قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ الله فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)﴾

١٧- سورة الجمعة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ الله وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ الله وَاذْكُرُوا الله كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)﴾

١٨- سورة التغابن:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ والله عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا الله مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِنْ تُقْرِضُوا الله قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ والله شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾

١٩- سورة التحريم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى الله تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي الله النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨)﴾

ثانيًا: آيات النواهي

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٠٤) البقرة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا والله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤)﴾ البقرة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)﴾ آل عمران

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا الله وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)﴾ آل عمران

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ الله ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ والله يُحْيِي وَيُمِيتُ والله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ الله أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ الله وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧)﴾ آل عمران

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)﴾ النساء

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا (٣٠) إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا (٣١)﴾ النساء

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤٣)﴾ النساء

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا للهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (١٤٤)﴾ النساء

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢)﴾ المائدة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)﴾ المائدة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ

لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ واللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)﴾ المائدة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧)﴾ المائدة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨) ﴾ المائدة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)﴾ المائدة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤)﴾ المائدة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ واللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٩٥)﴾ المائدة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللهُ عَنْهَا واللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢)﴾ المائدة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ الله وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦)﴾ الأنفال

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا الله وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ الله عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨)﴾ الأنفال

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ الله مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١٢٣)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ الله مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ الله عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨)﴾ التوبة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ الله وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ الله فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)﴾ التوبة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ الله اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا والله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)﴾ التوبة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإيمان وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣)﴾ التوبة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١)﴾ النور

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ واللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩)﴾ النور

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ واللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا (٥٣)﴾ الأحزاب

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا (٦٩)﴾ الأحزاب

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١) الحجرات

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢)﴾ الحجرات

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإيمان وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١)﴾ الحجرات

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا الله الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ الله وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠)﴾ المجادلة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بالله رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١)﴾ الممتحنة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ الله عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣)﴾ الممتحنة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ الله أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ الله يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (٤)﴾ الصف

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ الله نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا والله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)﴾ المنافقون

ملحق (٤)

«يَا بَنِي آدَمَ»

١- ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الله لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦)﴾ الأعراف.

٢- ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧)﴾ الأعراف.

٣- ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)﴾ الأعراف.

٤- ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥)﴾ الأعراف.

❊ ❊ ❊

ملحق (٥)

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ»

١- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)﴾ البقرة.

٢- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨)﴾ البقرة.

٣- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ النساء.

٤- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧٠)﴾النساء.

٥- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤)﴾ النساء.

٦- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣)﴾ يونس.

٧- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧)﴾ يونس.

٨- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١)﴾ الحج.

٩- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ

إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥)﴾ الحج.

١٠- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ الله لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣)﴾ الحج.

١١- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بالله الْغَرُورُ (٣٣)﴾ لقمان.

١٢- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ الله يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣)﴾ فاطر.

١٣- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بالله الْغَرُورُ (٥)﴾ فاطر.

١٤- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى الله والله هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥)﴾ فاطر.

١٥- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾ الحجرات.

١٦- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بالله وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بالله وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)﴾ الأعراف.

١٧- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله وَلَكِنْ أَعْبُدُ الله الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤)﴾ يونس.

١٨- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (١٠٨)﴾ يونس.

١٩- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٤٩)﴾ الحج.

❊ ❊ ❊

ملحق (٦)

بعض نصوص الأحاديث الواردة بهامش الكتاب

(١) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، ﷺ قَالَ: انْشَقَّ القَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةً فَوْقَ الجَبَلِ، وَفِرْقَةً دُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اشْهَدُوا»[١].

(٢) عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ، أنه: أُصِيبَتْ عَيْنُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، أَوْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَسَالَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ، فَأَرَادُوا أَنْ يَقْطَعُوهَا، ثُمَّ قَالُوا: نَأْتِي رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَسْتَشِيرُهُ، فَأَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: فَوَضَعَهَا فِي مَوْضِعِهَا، ثُمَّ غَمَزَهَا بِرَاحَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: « اللهمَّ أَكْسِبْهُ جَمَالًا»، قَالَ: فَمَا يَدْرِي مَنْ لَقِيَهُ أَيَّ عَيْنَيْهِ أُصِيبَتْ؟»[٢].

(٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد:١] جَاءَتِ امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّهَا امْرَأَةٌ بَذِيئَةٌ، وَأَخَافُ أَنْ تُؤْذِيَكَ، فَلَوْ قُمْتَ، قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي»، فَجَاءَتْ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي، قَالَ: لَا، وَمَا يَقُولُ الشِّعْرَ، قَالَتْ: أَنْتَ عِنْدِي مُصَدَّقٌ، وَانْصَرَفَتْ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله لَمْ تَرَكَ، قَالَ: لَا، لَمْ يَزَلْ مَلَكٌ يَسْتُرُنِي عَنْهَا بِجَنَاحِهِ».

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٦٤) ومسلم (٤٥-٢٨٠٠).

(٢) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١٥٤٩/١٢٠/٣) وأبو عوانة في «مستخرجه» (٦٩٢٩/٣٤٨/٤).

(٤) عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: إِنَّ رَسُولَ الله أَخَذَ الْعَقَبَةَ، فَلَا يَأْخُذْهَا أَحَدٌ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُودُهُ حُذَيْفَةُ وَيَسُوقُ بِهِ عَمَّارٌ إِذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مُتَلَثِّمُونَ عَلَى الرَّوَاحِلِ، غَشَوْا عَمَّارًا وَهُوَ يَسُوقُ بِرَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ يَضْرِبُ وُجُوهَ الرَّوَاحِلِ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحُذَيْفَةَ: "قَدْ، قَدْ" حَتَّى هَبَطَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا هَبَطَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ وَرَجَعَ عَمَّارٌ، فَقَالَ: "يَا عَمَّارُ، هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ؟" فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ عَامَّةَ الرَّوَاحِلِ وَالْقَوْمُ مُتَلَثِّمُونَ قَالَ: "هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا؟ " قَالَ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا بِرَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَطْرَحُوهُ" قَالَ: فَسَأَلَ عَمَّارٌ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: نَشَدْتُكَ بِ الله، كَمْ تَعْلَمُ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ فَقَالَ: أَرْبَعَةَ عَشَرَ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ فِيهِمْ فَقَدْ كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ، فَعَذَرَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً قَالُوا: والله مَا سَمِعْنَا مُنَادِيَ رَسُولِ الله، وَمَا عَلِمْنَا مَا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَالَ عَمَّارٌ: أَشْهَدُ أَنَّ الِاثْنَيْ عَشَرَ الْبَاقِينَ حَرْبٌ لله وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ قَالَ الْوَلِيدُ: وَذَكَرَ أَبُو الطُّفَيْلِ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلنَّاسِ: وَذُكِرَ لَهُ: أَنَّ فِي الْمَاءِ قِلَّةً فَأَمَرَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَادِيًا فَنَادَى: "أَنْ لَا يَرِدَ الْمَاءَ أَحَدٌ قَبْلَ رَسُولِ الله فَوَرَدَهُ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ رَهْطًا قَدْ وَرَدُوهُ قَبْلَهُ، فَلَعَنَهُمْ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ"[1]

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٧٩٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٢٦٠).

(٥) عن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ[1].

(٦) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا من النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا، أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: «مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟»، فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ الله . فَقَالَ: «أَفَلَا تَتَّقِي الله فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ الله إِيَّاهَا؟، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ»[2].

(٧) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: عَدَا الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ، فَأَخَذَهَا فَطَلَبَهُ الرَّاعِي، فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ، فَأَقْعَى الذِّئْبُ عَلَى ذَنَبِهِ، قَالَ: أَلَا تَتَّقِي الله، تَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا سَاقَهُ الله إِلَيَّ، فَقَالَ: يَا عَجَبِي ذِئْبٌ مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِهِ، يُكَلِّمُنِي كَلَامَ الْإِنْسِ، فَقَالَ الذِّئْبُ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ؟ مُحَمَّدٌ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَثْرِب يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ، قَالَ: فَأَقْبَلَ الرَّاعِي يَسُوقُ غَنَمَهُ، حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَزَوَاهَا إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَأَمَرَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنُودِيَ الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ لِلرَّاعِي: "أَخْبِرْهُمْ" فَأَخْبَرَهُمْ، فَقَالَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٧- (٢٠٢١).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٤٩) وأبو عوانة في «مستخرجه» (٤٩٧) وصححه الألباني على شرط مسلم.

رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " صَدَقَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَ، وَيُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ، وَشِرَاكُ نَعْلِهِ، وَيُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ»[1].

(٨) عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ مِنْ أَبِي رَحْلًا بِثَلَاثَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا، وَسَاقَ الْحَدِيثَ، قال: فَلَمَّا دَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ دَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَاخَ فَرَسُهُ فِي الْأَرْضِ إِلَى بَطْنِهِ، وَوَثَبَ عَنْهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا عَمَلُكَ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ، وَلَكَ عَلَيَّ لَأُعَمِّيَنَّ عَلَى مَنْ وَرَائِي، وَهَذِهِ كِنَانَتِي، فَخُذْ سَهْمًا مِنْهَا، فَإِنَّكَ سَتَمُرُّ عَلَى إِبِلِي وَغِلْمَانِي بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا، فَخُذْ مِنْهَا حَاجَتَكَ، قَالَ: «لَا حَاجَةَ لِي فِي إِبِلِكَ» فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ لَيْلًا...».

(٩) عَنِ البَرَاءِ، قَالَ: اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ عَازِبٍ رَحْلًا بِثَلاَثَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعَازِبٍ: مُرِ البَرَاءَ فَلْيَحْمِلْ إِلَيَّ رَحْلِي، فَقَالَ عَازِبٌ: لاَ، حَتَّى تُحَدِّثَنَا: كَيْفَ صَنَعْتَ أَنْتَ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَرَجْتُمَا مِنْ مَكَّةَ، وَالْمُشْرِكُونَ يَطْلُبُونَكُمْ؟ قَالَ: ارْتَحَلْنَا مِنْ مَكَّةَ، فَأَحْيَيْنَا، أَوْ: سَرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّى أَظْهَرْنَا وَقَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، فَرَمَيْتُ بِبَصَرِي هَلْ أَرَى مِنْ ظِلٍّ فَآوِيَ إِلَيْهِ، فَإِذَا صَخْرَةٌ أَتَيْتُهَا فَنَظَرْتُ بَقِيَّةَ ظِلٍّ لَهَا فَسَوَّيْتُهُ، ثُمَّ فَرَشْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: اضْطَجِعْ يَا نَبِيَّ اللهِ، فَاضْطَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَنْظُرُ مَا حَوْلِي هَلْ أَرَى مِنَ الطَّلَبِ أَحَدًا، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ يَسُوقُ غَنَمَهُ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا، فَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ، قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، سَمَّاهُ

---

(١) أخرجه أحمد (**١١٧٩٢**).

فَعَرَفْتُهُ، فَقُلْتُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَهَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرْتُهُ فَاعْتَقَلَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ ضَرْعَهَا مِنَ الغُبَارِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ كَفَّيْهِ، فَقَالَ: هَكَذَا، ضَرَبَ إِحْدَى كَفَّيْهِ بِالأُخْرَى، فَحَلَبَ لِي كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِدَاوَةً عَلَى فَمِهَا خِرْقَةٌ، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَافَقْتُهُ [ص:٤] قَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قُلْتُ: قَدْ آنَ الرَّحِيلُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: «بَلَى». فَارْتَحَلْنَا وَالقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَقُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا»[1]

(١٠) عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي سَفَرٍ فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيْنَ تُرِيدُ؟» قَالَ: إِلى أَهْلِي قَالَ: «هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ؟» قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» فَقَالَ: وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَى مَا تَقُولُ؟ قَالَ: «هَذِهِ السَّلَمَةُ[2]» فَدَعَاهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الْأَرْضَ خَدًّا حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا، فَشَهِدَتْ ثَلَاثًا أَنَّهُ كَمَا قَالَ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا وَرَجَعَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: إِنِ اتَّبَعُونِي أَتَيْتُكَ بِهِمْ، وَإِلَّا رَجَعْتُ، فَكُنْتُ مَعَكَ».

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٢) ومسلم (٧٥- (٢٠٠٩).

(٢) السلمة: واحدة من شجر العضاه.

(١١) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلاَ نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتُمْ»، فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى المِنْبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ. قَالَ: «كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا».

(١٢) إِنَّ أَبَا ذَرٍّ قَالَ إِنِّي انْطَلَقْتُ أَلْتَمِسُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ حَوَائِطِ الْمَدِينَةِ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ أَبُو ذَرٍّ حَتَّى سَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ وَحَصَيَاتٌ مَوْضُوعَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَخَذَهُنَّ فِي يَدِهِ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فِي الأَرْضِ فَسَكَتْنَ ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي الأَرْضِ فَخَرَسْنَ ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُمَرَ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي الأَرْضِ فَخَرَسْنَ ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُثْمَانَ فَسَبَّحْنَ ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي الأرض فخرسن.

(١٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد:١] جَاءَتِ امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهَا امْرَأَةٌ بَذِيئَةٌ، وَأَخَافُ أَنْ تُؤْذِيَكَ، فَلَوْ قُمْتَ، قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي»، فَجَاءَتْ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي، قَالَ: لَا، وَمَا يَقُولُ الشِّعْرَ، قَالَتْ: أَنْتَ عِنْدِي مُصَدَّقٌ، وَانْصَرَفَتْ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَمْ تَرَكَ، قَالَ: «لَا، لَمْ يَزَلْ مَلَكٌ يَسْتُرُنِي عَنْهَا بِجَنَاحِهِ».

(١٤) عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو الله بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ، وَقَدْ سَمَّاهُ الله رَءُوفًا رَحِيمًا».

(١٥) عَنْ أَبِي نَوْفَلِ بْنِ أَبِي عَقْرَبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ لَهَبُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ يَسُبُّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « اللهمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبَكَ» فَخَرَجَ فِي قَافِلَةٍ يُرِيدُ الشَّامَ فَنَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لَهُ: كَلَّا، فَحَطُّوا مَتَاعَهُمْ حَوْلَهُ وَقَعَدُوا يَحْرُسُونَهُ فَجَاءَ الْأَسَدُ فَانْتَزَعَهُ فَذَهَبَ بِهِ».

❊ ❊ ❊

المراجع

١- **القرآن الكريم**

٢- **جامع البيان في تفسير القرآن**: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى ٣١٠ طبعة دار الزيات للتراث ١٤٠٧-١٩٨٧م

٣- **القرآن والعلم الحديث**: عبد الرازق نوفل- مطابع دار الشعب بالقاهرة ١٤٠٢- ١٩٨٢

٤- **مشكاة المصابيح**: لولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (المتوفى في القرن الثامن الهجري) المكتبة الرحيمية (يونبه) الهند.

٥- **الإسلام يتحدى**: لوحيد الدين خان، طبعة مكتبة القرآن، ترجمة ظفر الإسلام خان، مراجعة وتقديم د/ عبد الصبور شاهين

٦- **شرح العقيدة الطحاوية**: للإمام أبي جعفر الطحاوي، حققها وراجع عليها جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني (مكتبة الدعوة الإسلامية).

٧- **فتح القدير**: لمحمد بن علي الشوكاني، طبعة الدار الثقافية العربية- بيروت.

٨- **إنه الحق**: من إصدارات المجلس الأعلى العالمي للمساجد- هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بمقر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

٩- **سنن أبي داود**- لأبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)- المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد- المكتبة العصرية، صيدا- بيروت عدد الأجزاء: ٤

١٠- **السنن الكبرى**- لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي. تحقيق: محمد عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان- الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م

١١- **المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي**- أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي- تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة- مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب- الطبعة: الثانية، ١٤٠٦- ١٩٨٦.

١٢- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني- تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي- مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م.

١٣- **السيرة النبوية لابن هشام**- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين- تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي- مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر- الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م

١٤- **المعجم الوسيط**- مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)- دار الدعوة.

١٥- **المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري**- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي- تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر- دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)- الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

١٦- **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**:أبى الحسن حازم القرطاجى المتوفى (٦٨٢)- تقديم وتحقيق محمد عبد الحميد بن الخوجة- طبعة دار الغرب الاسلامى- بيروت- لبنان.

١٧- **تفسير القرطبى** (الجامع لأحكام القرآن) لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى- تحقيق الشيخ/ محمد بيومى، أ/ عبد الله المنشاوى- طبعة مكتبة الإيمان بالمنصورة

١٨- **دلائل الإعجاز**: للإمام أبى بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجانى النحوى المتوفى ٤٧١ أو ٤٧٤- قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر- مكنبة الخانجى بالقاهرة.

١٩- **فتح القدير**- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)- دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت- الطبعة: الأولى- ١٤١٤ هـ.

٢٠- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)- تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون- دار الكتب العلمية، لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م

٢١- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي- دار الكتب العلمية- بيروت-الطبعة: الأولى- ١٤٠٥ هـ

٢٢- **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**- محمد راتب النابلسي- دار المكتبي- سورية، دمشق- الطبعة: الثانية- ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م.

٢٣- **النشر في القراءات العشر**- شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف-تحقيق: علي محمد الضباع- المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].

٢٤- **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)- الدار التونسية للنشر- تونس- ١٩٨٤ هـ.

٢٥- **شعب الإيمان**- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي- حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد- أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي- الهند- مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند- الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٣ م

٢٦- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**- أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق- تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور- دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ- ٢٠٠٢ م-

٢٧- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي- دار الكتاب العربي- بيروت- الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م

٢٨- **البحر المحيط في التفسير**- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي- تحقيق: صدقي محمد جميل- دار الفكر- بيروت- ١٤٢٠هـ

٢٩- **الطب النبوي**- أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني- تحقيق:مصطفى خضر دونمز التركي- دار ابن حزم- الطبعة الأولى- ٢٠٠٦م

٣٠- **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- الطبعة: الثالثة- ١٤٢٠هـ

٣١- **موسوعة غينيس في علم الفلك**- باتريك موور- ترجمة: مركز التعريب والبرمجة- الدار العربية للعلوم- بيروت- الطبعة الرابعة ١٩٩٤

٣٢- **البرهان في علوم القرآن**- للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى- تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم- طبعة مكتبة دار التراث- الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٣٣- **تفسير القرآن العظيم**- لأبو الفداء عماد الدين بن كثير- تحقيق طه عبد الرؤوف سعد- طبعة مكتبة الإيمان بالمنصورة ٢٠٠٦م

٣٤- **سنن الترمذى**- المسمى بجامع الترمذى- للامام الحافظ محمد بن عيسى الترمذى- طبعة شركة القدس للنشر والتوزيع ٢٠٠٩م.

٣٥- **كلمات القرآن تفسير وبيان**- للشيخ حسنين مخلوف- طبعة مكتبة السنة (الدار السلفية لنشر العلم) القاهرة-٨١ شارع البستان الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩م

٣٦- مشكلات الترجمة من العربية إلى لغة الهوسا- دراسة تطبيقية على ترجمة معانى الجزء الأول من القرآن الكريم إلى لغة الهوسا- رسالة دكتوراه- إعداد/ صلاح خليل عبد العال سرور- معهد البحوث والدراسات الإفريقية- جامعة القاهرة- ٢٠١٠

٣٧- أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير- لأبى بكر حامد الجزائرى- مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة- الطبعة الثالثة ١٤١٨ - ١٩٩٧

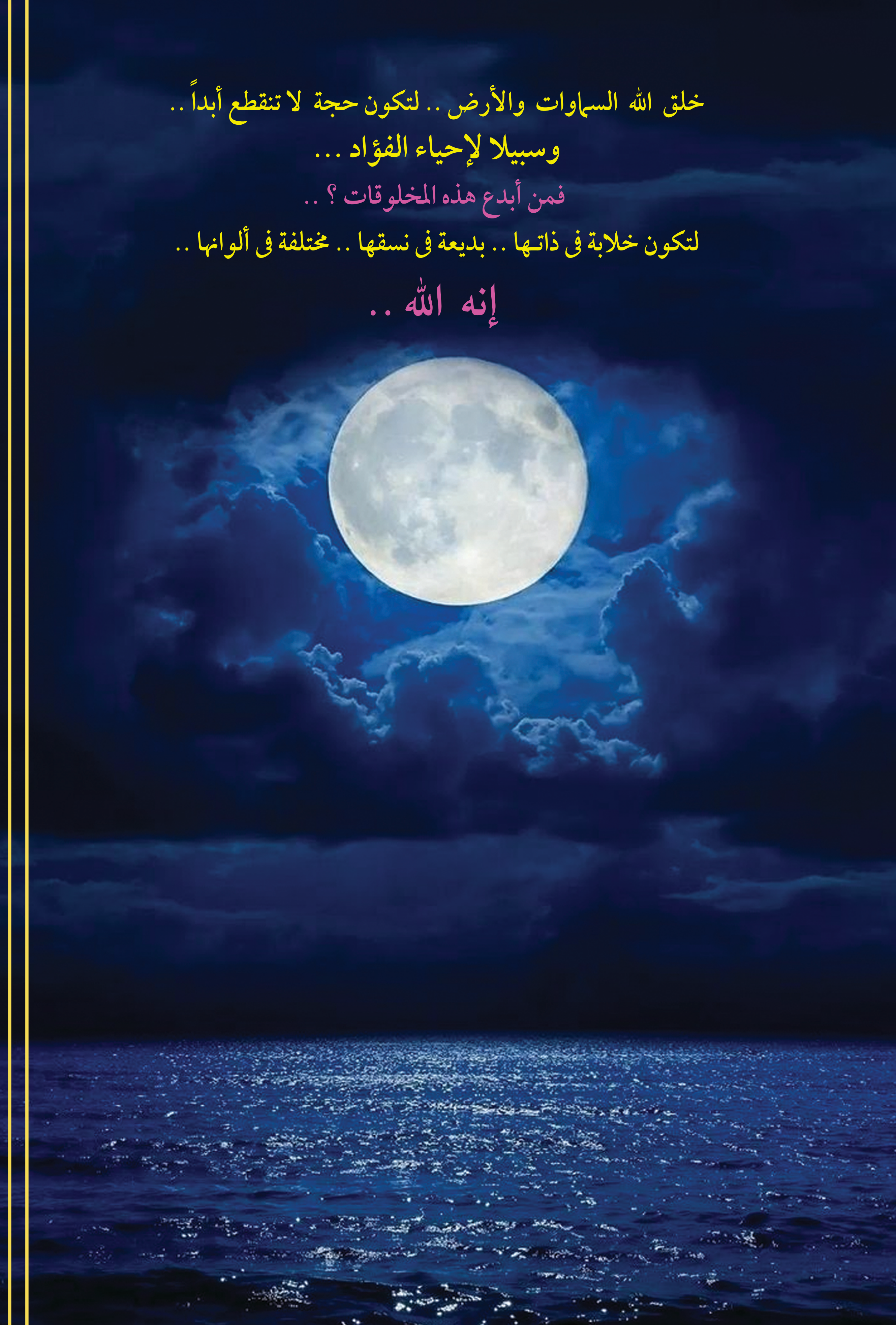
٣٨- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم- لأبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم- تحقيق: أسعد محمد الطيب- الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية- الطبعة: الثالثة- ١٤١٩هـ.

٣٩- مقدمة التفسير- محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)- دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية- الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ- عدد الأجزاء: ٣.

٤٠- **العربى-** مجلة شهرية ثقافية مصورة- تصدرها وزارة الاعلام بدولة الكويت- العدد ٥٠٦- يناير ٢٠٠١-٦/ ١٠/ ١٤٢١.



الفهـــرس


خلق الله السماوات والأرض .. لتكون حجة لا تنقطع أبداً ..
وسبيلا لإحياء الفؤاد ...
فمن أبدع هذه المخلوقات ؟ ..
لتكون خلابة فى ذاتها .. بديعة فى نسقها .. مختلفة فى ألوانها ..
إنه الله ..